

الدكتور محمد عمارة

فى فقه الصراع على القدس وفلسطين



خلفه السنين 2004

دار الشروق

في فقه المصراع
على القلبي والغسلين

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري - مدينة نصر
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

الدكتور محمد عمارة

فى فقه الصراع على القدس وفلسطين

دار الشروق

تقديم

إبان الحرب العالمية الثانية [١٣٥٨ - ١٣٦٤ هـ / ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م] أطلق الاستعمار على الوطن العربي اسم: «الشرق الأوسط» وذلك ليفرغ هذا الوطن من هويته «العربية - الإسلامية» وليصبح مجرد «جغرافيا» قابلة للإلحاق «بالمركز الغربي» . . . وليفتح الباب الثقافي لصبغ هذه «الجغرافيا» بالصبغة الثقافية التغريبية التي يريد بها الاستعمار!

وكان لهذه التسمية - «الشرق الأوسط» - مقصد آخر أكثر إمعانا في محاولات هذه «المركزية الغربية» إلحاق الآخرين بمركزيتها . . . فتسمية «الشرق الأوسط» بعد محوها لهويتنا «العربية - الإسلامية» - تسمينا باعتبار موقعنا - كتابعين - من المركز الغربي! . . . فهناك من هو «شرق أدنى» - بالنسبة لموقعه من المركز الغربي - ومن هو «أوسط» . . . ومن هو «أقصى» بالنسبة لموقعه من هذا «المركز» . . . فكأننا العبيد الذين تتم تسميتهم بحسب موقعهم من «السيد»!

ولقد ابتلعت كثير من دوائر السياسة والفكر والثقافة والإعلام، في وطن العروبة وعالم الإسلام - بسبب الغفلة والجهالة - هذه التسمية التي تكرر معاني التبعية . . . ومحو الهوية . . . والإلحاق .

فلما حدثت نكبة الاغتصاب «الصليبي - الصهيوني» لفلسطين - عقب الحرب العالمية الثانية - ذاع وشاع التعبير عن هذه القضية باسم : «مشكلة الشرق الأوسط» ، وذلك بدلا من اسم : «الصراع العربي - الصهيوني» وذلك - مرة أخرى - لتكريس محو الهوية المميزة لهذا الصراع .

وفي السنوات الأخيرة . . ومع الحديث عن التسويات التي تحاول تكريس النكبة والهزيمة ، حسب الدوائر الصليبية والصهيونية أنها قد اقتربت - بهذه التسويات البائسة - من كسر الإرادة العربية الإسلامية الرافضة لاغتصاب الصهيونية للقدس وفلسطين . . وأن هذه التسويات توشك أن تمحو هويتنا العربية الإسلامية ، حتى تقبل «جغرافيتنا» الكيان الصهيوني . . بل وسيطرته على هذه «الجغرافيا» . فبدأ شيوع مصطلح «الشرق الأوسط الجديد» . . ثم مصطلح «الشرق الأوسط الكبير» ! .



ومنذ شيوع هذا المصطلح - «الشرق الأوسط» - كانت هناك محاولات لطمس جذور هذا الصراع الذي يدور على القدس وفلسطين ، كرمز للصراع الإمبريالي الغربي - التاريخي - ضد الشرق الإسلامي . . حتى لقد أصبح الكثيرون يظنون أن تاريخ هذا الصراع قد بدأ مع قيام الكيان الصهيوني في فلسطين سنة ١٩٤٨ م . . أو أن تاريخه لا يعدو «وعند بلفور» سنة ١٩١٧ م . . أو أن جذوره لا تتجاوز المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد في

«بال» بسويسرا ١٨٩٧ م . . كل ذلك لتسطيح القضية . . وإخفاء جذورها العميقة والدفينة . . وقبل كل ذلك ، لمحو هوية هذا الصراع التاريخي ، وطمس الأبعاد الفكرية والعقدية و«الأيدولوجية» والدينية التي غذته ، وتغذت عليه عبر قرون طوال . . . ولتصويره على أنه مجرد «حاجز نفسي» - حديث النشأة - تزيله وتبدده هذه التسويات ! .

وإذا كان القائد العسكري الإنجليزي «جلوب باشا» [١٨٩٧ - ١٩٨٦ م] . الذي عمل قائدا للجيش العربي الأردني حتى سنة ١٩٥٦ م !! - وهو كاتب ومؤرخ - قد أصاب كبدا الحقيقة عندما كشف عن تاريخ هذا الصراع ، بعبارة التي توقظ النيام والغافلين - بل والسكاري - والتي تقول : «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد» ! - أي إلى تاريخ ظهور الإسلام !! .

فإن هذا الكتاب - الذي نقدم بين يديه - إنما يكشف ليس فقط عن هذه الجذور التاريخية العميقة والدفينة لهذا الصراع على القدس وفلسطين . . . وليكشف - أيضا . . وبالدرجة الأولى - عن «هوية» هذا الصراع ، وذلك حتى تكون «القراءة» للتاريخ سبيلا «للوعى» بهذا التاريخ . . وحتى تستدعي أمتنا «هويتها» العربية الإسلامية في هذا الصراع . . وذلك بدلا من الوقوع في «فتح» نزع سلاح هويتنا ، التي مثلت دائما وأبدا سلاحنا الأول «وعقيدتنا القتالية» في كل مراحل الجهاد لتحرير بلادنا من الهيمنة الغربية . . ولتحرير القدس وفلسطين من الاغتصاب . .

إنها صفحات من «الرعى بالتاريخ» . . وليست «تسليية» بقراءة التاريخ . .

كما أن موضوعها ليس «أى تاريخ» . . وإنما هو تاريخ الأرض المقدسة، التى بارك الله فيها وحولها . . عندما جعل الرباط بينها وبين الحرم المكى الشريف آية من آيات الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

الأرض التى تنبأ رسولنا - صلى الله عليه وسلم - بأن أهلها فى رباط إلى يوم الدين .

ذلك هو موضوع هذا الكتاب .

دكتور محمد عمارة

الدين فى خدمة الدنيا !

بختام النبوة والرسالة بمحمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - . . . وينزل القرآن الكريم ، معجزة خالدة ، وخاتمة لمعجزات الثبوت والرسالات السماوية ، انتهت بمعنى تمت واكتملت عصور معجزات الأنبياء والمرسلين .

لكن الإسلام ، الذى جاء وتجسد فى المعجزة الخاتمة والخالدة - القرآن الكريم - قد غدا صانع المعجزات المتواليات والدائمات ، عبر الزمان والمكان ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . . فصناعة الإنسان السوى ، الخليفة لله فى عمران الأرض والذى تكون عزته من عزة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والذى إذا أقسم على الله أبره الله . . . إن صناعة هذا الإنسان ، عبر الزمان والمكان معجزة إسلامية دائمة ومتوالية دائما وأبدا .

وإقامة الاجتماع الإنسانى العادل والمتوازن على أسس من هدى الإسلام وقيمه ، معجزة إسلامية خالدة ودائمة ، ومتحققة دائما وأبدا . . .

ولأن القرآن، المحفوظ حفظاً إلهياً، لا تنقضي عجائبه، فإن سوره وآياته قد غدت «رحمًا» ولوداً للمعجزات التي يحققها المؤمنون بالإسلام والعاملون به أينما كانوا، وكلما تخلقوا بأخلاق الله، فأصبح القرآن الكريم لهم خلقاً وسجايًا يجسدونها في الممارسة والتطبيق.

وإذا شئنا نموذجاً ومثالاً لهذا الإعجاز الدائم، فإن في الجهاد الإسلامي، الذي صنعته وفجرت به قيم الشهادة والفداء والاستشهاد، واحداً من نماذج هذا الإعجاز، المستمر منذ ظهور الإسلام وإلى هذه اللحظات... وحتى قيام الساعة إن شاء الله.

● لقد فتح المسلمون في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون... وكان الجهاد والفداء والاستشهاد هو سبيلهم لهذا الفتح الذي حرروا به الشرق من قهر الفتوحات الإغريقية والرومانية والبيزنطية الذي استمر عشرة قرون... من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٤ ق. م] - في القرن الرابع قبل الميلاد - إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد.

● وبهذا الجهاد الإسلامي، الذي حرر الأرض... وحرر الضمير، عندما ترك الناس أحراراً وما يدينون... جاء الجهاد الخلقى، الذي تألق به عدل الإسلام، وتألفت به سماحته، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا... فتحول الشرق - الذي ظل قلب العالم النصراني لعدة قرون - إلى قلب للعالم الإسلامي.

● فلما سعت الصليبية الغربية إلى إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي ، وجيشت الجيوش في الحملات الصليبية التي شاركت فيها كل البلاد الأوروبية فجعلتها حرباً «عالمية» على الإسلام والمسلمين وأقامت الكيانات الاستيطانية اللاتينية في قلب الشرق الإسلامي عدة قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] ونهضت البابوية الصليبية فغلقت المطامع الاستعمارية المادية والدينية بغلاف العقيدة الصليبية ، وخطب البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨ - ١٠٩٩ م] في فرنسا الإقطاع الأوروبيين سنة ١٠٩٥ م- في «كليرمونت» بجنوبي فرنسا- فقال :

«يا من كنتم لصوصاً كونوا اليوم جنوداً...! لقد آن الزمان الذي فيه تحوّلون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض... فالحرب المقدسة المعتمدة الآن... هي... في حق اللدعية... وليست هي لاكتساب مدينة واحدة... بل هي أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء...

فاتخذوا محجة القبر المقدس، واخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم فهذه الأرض - حسب الفاظ التوراة - تفيض لبنا وعسلاً... ومدينة اورشليم هي قطب الأرض المذكورة والامكنة المخصصة المشابهة فردوساً سماوياً...

اذهبوا وحاربوا البربر [يقصد المسلمين!] لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم... امضوا مستلحين بسيف مفاتيحي البطريركية [أي مفاتيح

الجنة التي صنعها البابا!] واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية. فإذا أنتم انتصرتكم على أعدائكم، فألئك الشرقي يكون لكم غسما وميراثا.

وهذا هو الحين الذي فيه أنتم تفقدون عن كثرة الاغتنصابات التي مارستموها عدوانا. من حيث أنكم صيغتم أيديكم بالدم ظلما، فاعسلوها بدم غير المؤمنين^(١)!!!

فهى حرب اللصوص المفضية أيديهم بدماء الأبرياء. . لكنها - بنظر الصليبية الكاثوليكية - مقدسة. . فى سبيل الله. . طالما أن هؤلاء اللصوص القتلة سيغسلون الدماء الملوثة بها أيديهم بدماء المسلمين! . وبذلك يحوزون الجنة. . ومعها - أو قبلها - يمتلكون ويتوارثون أقاليم الشرق الغنية، التي تفيض لنا وعسلا، والتي تعز خزائنها على الإحصاء!!!



وعندما اقتحمت الجيوش الصليبية - يؤمنون - مدينة القدس - سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م . وأبادوا جميع من كان بها من المسلمين . ومعهم اليهود - بالقتل والتذبح والإحراق . . بمن في ذلك الذين احتسبوا بمسجد قبة الصخرة - مسجد عمر بن الخطاب [٤٠ ق . هـ ٢٣ هـ / -

(١) مكسيموس مولروند [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص ١٢ - ١٤ ، ترجمة مكسيموس مظلوم ، طبعة اورشليم سنة ١٨٦٥ م

٥٨٤ . ٦٤٤ م] الذي سبق وعقد لنصارى القدس عهد الأمان العمرى ، واحترم قدسية كنيسة القيامة ، حتى لقد تخرج أن يصلى فيها . تلبية لرغبة البطريرك «صفر ينوس» [١٧ هـ ٦٣٨ م] كى تظل دائما وأبدا خاصة للنصارى .

حول الصليبيون مسجد عمر إلى بحيرة من دماء المسلمين ، وصفها المؤرخ النصارى «مكسيموس مونروند» - وهو رجل دين - فقال :

«إن ديوان المشورة العسكرية قد قطع حكما رهيبا: أن يمات كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة .. ودامت هذه الملاحمة سبعة أيام كاملة .. على أنه باطلا - [أى عبثا] كان الإسلام [أى المسلمين] فى اورشليم يجدون مشتشرين عن سهرب يحمون به حياتهم .. فعدد كلى منهم قد هربوا إلى جامع عمر ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت، ولكن ظنهم خاب، إذ إن الصليبيين - خيالة ومشاة - قد دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك .. حتى استوعب الجامع من الدم بحرا عتموجا، علا إلى حد الركب، بل إلى لجم الخيل .. وذلك مما فنكت به سيوف الجيوش الصليبية أرقاب [أى رقاب] الإسلام [أى المسلمين] .

ولما حل المساء، اندفع الصليبيون يكون من فرط الضحك [!!] - بعد أن أتوا على نبذ المعاصر [!!] - إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الفارقة فى الدماء على جدرانها ورددوا الصلوات !! ثم كتبوا إلى البابا فقالوا

له: يا لبيتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار [أي المسلمين]!!^(١).

ويشهد هذا المؤرخ النصراني، صاحب كتاب [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب] - على أن الدنيا والمال والجشع كانت هي الأهداف الصليبية التي غلفتها الكنيسة الكاثوليكية وحملاتها الخيرية بغلاظة مهترقة من الدين . . فيقول: إن الكثيرين من الأشراف والعظماء الصليبيين صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لا حشاد - [جمع] - الأموال الغنيمة، بل إن التعطش نحو أخذ الغنائم وحده كان يجذب الجيش إلى المحاربة!!



● ولم ينس الصليبيون كنوز المساجد . . وحتى مسجد عمر، فظل قائدهم «تنكريد» ينهب كنوزه يومين كاملين وبعبارة صاحب كتاب [تاريخ الحروب المقدسة]: «فالقايد تنكريد قد امتلك جميع الغنى الذي وجد في جامع الإمام عمر وهذه قد كانت عظيمة المقدار والقيمة؛ حتى إنه - حسب تقرير أحد المؤرخين - لم تكفها ست عرايات كبيرة لنقلها، وإنه قد استمر هو مدة يومين مباشرة إخراجها عن ذلك الجامع»^(٢).

هكذا بدأت الصليبية الغربية حروبها «المقدسة» التي قالت إنها «في

(١) المصدر السابق، المجلد الأول: ص ١٧٢ - ١٧٥.

(٢) المصدر السابق، المجلد الأول: ص ١٧٦.

عين الله ذاته» أى فى سبيل الله . . . والننى سلحت فيها فرسان الإقطاع
- اللصوص . . . الملطخة أيديهم بدماء الأبرياء . بمقاتيح الجنة - المقاتيح
البحرانية !! .

ولقد ساقط هذه الصليبية الكاثوليكية العربية «حجة» عربية وفجة
وشاذة لتجعلها غلالة دينية لهذه الحرب الوحشية ضد الطرق
الإسلامية وأمتة وحضارته ، وذلك عندما قالت إنها حرب مقدسة
لانتزاع قبر المسيح من أيدي المسلمين . . . وهى بذلك تتجاهل أن
المسيحية ديانة شرقية ، ولد نبياها ورسولها فى الشرق ، ووقعت
أحداثها الأولى فى الشرق . . . وأن تدعى أى إنسان أو جماعة أو شعب
- هى أى مكان آخر - بهذه المسيحية ، لا يوجب له حقوق امتلاك الوطن
الشرقى الذى ظهرت فيه المسيحية . . . وإلا لكان من حق المسلمين فى
نيجيريا أو أندونيسيا أو ألبانيا أن يشنوا حروبا مقدسة لامتلاك مكة
والمدينة والحجاز !! . . . ولكان من حق المتدينين باليهودية فى البلاد
الاسكندنافية - مثلا - أن يطالبوا بامتلاك البقاع التى نزلت فيها ألواح
التوراة على موسى عليه السلام . . .

ولكنه «المنطق الصليبي» الذى أرادوا به تغليف الحرب
الاستعمارية ، لامتلاك الشرق وثرواته ، وإعادة احتطافه من التحرير
الذى أنجزه الإسلام .

الصليبية الكاثوليكية

ولقد استنفرت هذه الغزوة الصليبية الأولى روح الجهاد الإسلامي . لتحرير القدس وفلسطين . . فقامت دول الفروسية الإسلامية - الدولة الزنكية [٥٢١ - ٦٤٨ هـ / ١١٢٧ - ١٢٥٠ م] والأيوبية [٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م] والمملوكية [٦٤٨ - ٩٢٢ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م] قامت لتقذف بالقلاع والحصون والجيوش الصليبية إلى حيث أتت . . ولتعيد - بالجهاد الإسلامي - تحرير الشرق ثانية من الاستعمار الصليبي الاستيطاني .

لقد حررت الفروسية الإسلامية القدس وفلسطين من الغزاة . . ولكنها - بسماحة الإسلام - أبقت المدينة المقدسة مفتوحة لكل أصحاب المقدسات . . وأعلن ذلك صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣ م] في رسالته إلى الملك الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» [١١٥٧ - ١١٩٩ م] فقال : «القدس إرثنا كما هي إرثكم . . من القدس عرج نبينا إلى السماء . . وفي القدس يجتمع الملائكة . . لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة . أما بالنسبة إلى الأرض، فإن

احتلالكم فيها كأن شيئا عرضيا، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء، ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجرا واحدا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد...» (١).

فالجهاد الإسلامي هو سبيل التحرير لهذه الأرض المقدسة، لا لتكون احتكارا للمسلمين وحدهم. كما احتكرها الرومان، في عهد وثينهم وفي عهد نصرانيهم... وكما احتكرها الصليبيون عندما احتلوا قرابة التسعين عاما [٤٩٢ - ٥٨٣ هـ / ١٠٩٩ - ١١٨٧ م]... وكما يحتكرها اليوم الصهاينة. وإنما يحررها الجهاد الإسلامي، ليُشيع قدسيته بين جميع أصحاب المقدسات، لأن الإسلام وحده هو الذي يؤمن ويعترف بأنبياء وشرائع ومقدسات كل أصحاب المقدسات!..

● فلما تحالفت الصليبية الغربية مع الوثنية التتارية ضد الإسلام وأمته وحضارته... وهددت الغزوة التتارية الوجود الإسلامي، وأرسل «هولاكو» [٦١٤ - ٦٦٣ هـ / ١٢١٧ - ١٢٦٥ م] إلى حكام مصر - المماليك - إنذاره المزلزل، الذي قال فيه - مخاطبا الملك المنصور قطز [٦٥٨ - ١٢٦٠ م]:

«إنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه... ولقد فتحنا بغداد، وقتلنا فرسانها، وهدمنا بنيانها، وأسروا سكانها... فلکم بجسمیع البلاد معتبر، وعن عزمنای مزدهر، فاتعظوا بغيرکم وأسلموا

(١) صحيفة [الحياة] لندن - في ٢٧ - ١ - ١٩٩٦ م

إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، وتندموا على الأخطاء. فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن اشتكى، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وقتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب، فأى أرض تؤويكم؟ وأى طريق ينجيكم؟ وأى بلاد تحميكم؟ إن كنتم فى الجبال نسفناها، وإن كنتم فى الأرض خسفناها. فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وأعدادنا كالرمال، فمن طلب حربنا ندم.. فالحصون معنا لا تنفع، والعساكر لقنالتنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع.. فانعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمركم.. ولقد أعذر من أنذر!!

لما أرسل «هولاكو» المتحالف مع الصليبية الغربية - هذا الإنذار المزلزل، الذى جعل البعض يحسبون - من هولاء - «أن القيامة قد قامت»^(١)!! . . لما حدث ذلك استنفر الجهاد الإسلامى طاقات الأمة ومعدنها النفسى . . فأذاقت هذه الغزوة التشرية المدمرة أولى هزائمها التاريخية فى «عين جالوت» [٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م] . . ثم كان الجهاد الإسلامى - الفكرى - الجهاد الكبير بالقرآن الكريم . . وجهادهم به جهادا كبيرا (الفرقان : ٥٢) . الذى هدى هذه القوة المدمرة إلى الإسلام . . وحولها إلى سيف من سيوف الجهاد الإسلامى فى سبيل حضارة الإسلام ودار الإسلام .

(١) المفريزى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك [ج ١ ص ١٤٧، ١٤٨ تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

● وفي العصر الحديث . . بدأت الغزوة « الصليبية » - الإمبريالية «
دورة أخرى ضد الشرق الإسلامي ، منذ ما يزيد على خمسة قرون
فبعد أن نجحت الصليبية في اقتلاع الإسلام وحضارته من الأندلس ،
بإسقاط « غرناطة » في ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ - يناير سنة ١٤٩٢ م .
بدأت في أغسطس من نفس العام الغزوة « الصليبية الإمبريالية »
الثانية ، وذلك بالالتفاف حول العالم الإسلامي ، تهديدا لضرب
قلب العالم الإسلامي ، والاستيلاء - مسجدا - على القدس
وفلسطين . . وإعادة الاستعمار الغربي إلى الشرق من جديد . . بدأت
هذه الغزوة الصليبية الجديدة سنة ١٤٩٢ م . . أي في ذكرى مرور
قرنين على اقتلاع آخر حصون الغزوة الصليبية الأولى في الشرق
الإسلامي - حصن عكا - سنة ١٢٩١ م .!!

ولقد كان مشروع « كريستوفر كولمبس » [١٤٥١ - ١٥٠٦ م] هو
طليعة هذه الغزوة الصليبية الجديدة ، التي مثلت حلقة موصولة في
سلسلة هذا الصراع الغربي لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام . .
فلما فشل « كولمبس » طريقه ، وذهب إلى أمريكا الأرض الجديدة -
التي حسيبها جزر الهند الغربية . . خرجت - بعد خمس سنوات
[٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م] حملة صليبية ثانية ، بقيادة البرتغالي « فاسكو دي
جاما » [١٤٦٩ - ١٥٢٤ م] ونجحت في الالتفاف حول العالم
الإسلامي ، وذهبت إلى شواطئ الهند الإسلامية ، وخرج الجيش
المصري المملوكي - من ميناء السويس ليذهب كي يحاربها هناك
[٩١٠ هـ ١٥٠٤ م] ثم خرجت حملة البرتغالي « ماجلان » [١٤٨٠ -

١٥٢١ م] لتذهب إلى شواطئ القليين المسلمة، حيث قتل «ماجلان» هناك وهو يحارب المسلمين [٩٢٧ هـ ١٥٢١ م]... وليبدأ منذ ذلك التاريخ تنصير القليين التي كانت عاصمتها «مايلا» تسمى - يومئذ - «أمان الله»!

● ولأن القدس وفلسطين كانت داتما هي رمز هذا الصراع التاريخي فإن «كولبس» قد كتب إلى «سيدية الأكر تدينا»: الملك «فرد بناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦ م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤ م] كما جاء في يومياته ٢٦ ديسمبر سنة ١٤٩٢ م - يقول: إن هدفه هو «العثور على الذهب بكميات كبيرة، حتى يتنى للملكين أن يفتحوا الديار المقدسة خلال ثلاث سنوات.. فقد أعلنت لسموكم أن كل المغنم التي سيدرهما مشروعي هذا سوف تنفق على فسخ القدس - وقد ابتسمتا - يا صاحبي الجلالة - وقتما: إن ذلك يسركما..»^(١)

● وبعد أن تعددت رحلات «كولبس» إلى أمريكا وجمع الذهب بكميات كبيرة «لم ينس أن المقصد الأصلي والأساسي والأعظم لمشروعه هو القدس وفلسطين.. فكتب إلى القيادة الصليبية - الممثلة يومئذ في الملكين «فرد بناند» و«إيزابيلا» الرسالة الوثيقة» التي تؤكد على ضرورة توجيه الحملة الصليبية لانتزاع القدس وفلسطين من أيدي المسلمين.. وفي هذه الرسالة - الوثيقة» التي كتبها [٩٠٧ هـ - ١٥٠١ م] يعلن أن هدف رحلته الأصلية - في أغسطس سنة ١٤٩٢ م

(١) صحيفة [الأعرام] القاهرة - ٢٨ - ٤ - ٢٠١٤ م - مقال أحمد عبد المعطي حجازي [أنول إسرائيل آخر أمريكا].

والتي كان هدفها المعلن الطواف حول إفريقيا والذهاب إلى جزر الهند الغربية، لتحويل تجارة الشرق عن الطريق الإسلامي، لإضعاف العالم الإسلامي اقتصادياً . . إنما كان الهدف أكبر وأخطر، وهو تطوير العالم الإسلامي للانقضاء على فلسطين واغتصاب القدس من جديد . . القدس التي سبق وحررها صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣ م] من الأسر الصليبي [٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م] أي أن مشروع "كولبس" لإعادة الاحتلال الصليبي للقدس قد بدأ بعد ثلاثة قرون من تحرير صلاح الدين الأيوبي لها من أمر الصليبيين القدماء . .

وعن هذه المقاصد العليا والأكبر والأخطر - "حملة صليبية لاستعادة احتلال القدس" يتحدث "كريستوفر كولبس" وكأنه قسيس صليبي فيقول:

«صاحبي السمو، الأكثر تدبنا والأعلى مرتبة..

إن فهمي وإدراكي لمسألة استرداد الضريح المقدس بمدينة القدس لصالح الكنيسة المقدسة عسكرياً سوف أقوم بتوضيحه فيما يلي . . لقد ارتحلت إلى كل مكان يمكن الإبحار إليه حتى الآن . . وبإلهام من الرب . . أبحرت من بلادى إلى الهند . . كما ألهمني الرب أن أمثل أمام جلالكم . . لقد تجدد الدين والإيمان والإخلاص في جلالكم، ومن ذا الذي يستطيع أن يشك في أن هذا الإلهام قد جاء من الروح القدس وعني؟ وأنه الرب الذي يشعر بالراحة عبر النور المدهش والوضوح المستمد

من خلال كتابه المقدس والسامى، الذى يتصف بالظاهرة والصفاء، مع الكتب الأربعة والأربعين للعهد القديم، والأناجيل الأربعة، وثلاث وعشرين رسالة إنجيلية للحواريين المقدسين. كل ذلك ألهمنى بأن أتقدم وأنابع عملى، كما قام بتشجيعى لأن أثار على هذا العمل، وأن أقوم به بهمة وسرعة كبيرة دون توقف.

وأراد ربنا أن يكشف المعجزة الأكثر وضوحاً فى تلك الرحلة البحرية باتجاه الهند من أجل أن يواسينى وآخرين، عن المسألة المتعلقة باسترداد الضريح المقدس بمدينة القدس.

لقد مكثت سبعة أعوام فى بلاطكم الملكى، مناقشاً الأمر مع العديد من الرجال.. إن ما حدث هو الذى سبق أن قال به يسوع المسيح المخلص، وذكره من قبل عبر رسالة المقدسين. ولهذا فيجب علينا أن نؤمن بأن أمر القيام بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس، لهو أمر سوف يتحقق بالفعل.. لقد قلت إننى سوف أتحدث عن فهمى وإدراكى لمسألة استعادة الضريح المقدس بمدينة القدس إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية. ولهذا فيجب على تنحية جميع رحلاتى البحرية منذ حداثة سنّى، وكذا الأحاديث التى أجريتها مع أناس من ملل وطوائف متباينة، فى أراض مختلفة. وأن أشير فقط إلى الكتاب المقدس وإلى آياته التنبؤية التى قال بها أشخاص يتصفون بالقداسة، والذين - عبر الوحي والإلهام - ذكروا أشياء حول هذا الأمر.. هذا هو ما أردت أن أقوم بكتابته، لتذكير جلالكم به، ولتشجيع سموكم على القيام بالحملة الأخرى، المتعلقة باسترداد مدينة القدس، عبر الرجوع إلى الآيات

النبؤية بالكتاب المقدس. وما دام توافر لدى جلالكم الإيمان الصادق، فلتكونوا واثقين من إحراز النصر في مسألة استعادة الضريح المقدس ومدينة القدس.

يجب على أي شخص ألا يخشى القيام بأي أمر يتم تحت اسم مخلصنا وبرعايته ما دام العزم قويا، خاصة أن ذلك الأمر لهو أمر عادل، ويتم من أجل خدمة الرب المقدس.. ولا بد أن جلالكم تذكرون أنكم شرعتم في حربيكم مع مملكة غرناطة المسلمة، دون أن تكون لديكم أموال وفيرة.

إن هناك أمورا عظيمة في هذا العالم، وإن هناك إشارات وعلامات بأن ربنا يدفعنا للقيام بتحقيقها كالتبشير بالإنجيل في أراض كثيرة ومتعددة في وقت زمني قصير.. ولقد ذكر الكاردينال «بيير» الكثير عن نهاية المسلمين كما أن الأب «يواقيم الفيوري» قد ذكر أن الشخص الذي سيقوم بإعادة بناء الضريح المقدس للمسيح، فوق جبل صهيون بالقدس، سوف يخرج من إسبانيا..^(١)

تلك هي الرسالة «الوثيقة» التي امتزجت فيها «الأيديولوجية الصليبية» بالأطماع الاستعمارية، وأصبح فيها «الذهب» متسربلا بشياب الكهنوت، وصولا إلى المزيد من الذهب الداعم للكهنوت!.

(١) د. حاتم الطحاوي [وثيقة نادرة: بعد غرناطة جاء دور القدس] مجلة [العربي]. الكويت العدد ٥٢٢ - مارس سنة ٢٠٠٣ م. ص ٦٢-٦٧.

الرسالة انتم تشهد على أن الغزوة الصليبية التي نعالجها ونتعامل معها الآن ، قد بدأت قبل خمسمائة عام . . والتي احتفل الغرب الصليبي بذكرها الخمسمائة سنة ١٩٩٢ م بدورة أولمبية في «برشلونة» المسرح الذي اقتلع منه الإسلام - في غرب أوروبا - وقام - هذا الغرب الصليبي - في عام ذلك الاحتفال - سنة ١٩٩٢ م - بحرب البوسنة والهرسك ، لاقتلاع الإسلام من وسط أوروبا !! . وذهب لاعبونا فلعبوا هناك ، دون أن يكون لديهم وعي بفلسفة التوقيت . . والمكان . . والألعاب ! . لأن «ثقافة اللعب» قد جردتهم من «الوعي بالتاريخ» ! .

● أما «كولبس» - الذي يدرسه «اللاعبون» باعتباره مجرد «مكتشف جغرافي عظيم» - فلقد كتب في العام التالي سنة ١٥٠٢ م . إلى البابا «اسكندر السادس» [١٤٩٢ - ١٥٠٣ م] . ليذكر . . وليحث على تحييش هذه الحملة الصليبية . . وليقول :

«لقد اضطلعت بهذه المهمة - [الرحلات إلى أرض الذهب في أمريكا] - لنفق ما سوف نكسبه منها في رد الديار المقدسة .

وبعد أن ذهبت إلى هناك ، ورأيت الأرض كنبت إلى الملك وإلى الملكة - سيدي - إنه منذ ذلك اليوم وعلى مدار سبع سنوات ، سوف أحتاج إلى خمسين ألفا من الجنود المشاة وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة»^(١) !! .

(١) صحيفة [الأهرام] - القاهرة في ٢٨ - ٢٩ - ٢٠٠٤ م . مقال أحمد عبد المعطي حجازي [أول إسرائيل آخر أمريكا] .

هكذا كانت القدس وفلسطين - دائما وأبدا - رمز الصراع التاريخي
بين الصليبية الغربية وبين عالم الإسلام ...

وهكذا تعلمنا هذه الوثائق فقه الصراع على القدس وفلسطين . .

وهكذا كانت الصليبية الكاثوليكية الغربية سلاحا في الحروب
الاستعمارية التي استهدفت إعادة اختطاف الشرق من أمة الإسلام
طوال تلك القرون .

الصليبية البروتستانتية

إذا كانت «حجة» الصليبية الكاثوليكية - في إعادة اختطاف القدس وفلسطين قد ظلت ظاهرة الغرابة والفجاجة والشذوذ . . وذلك لأن تدبيرها بالمسيحية - التي ظهرت في الشرق - لا يعطيها الحق في امتلاك الوطن الشرقي الذي ظهرت فيه المسيحية . . وإلا لتنازع معها في هذا «الحق» المتدينون بالمسيحية من كل البقاع ، ومن مختلف الكنائس ، وذلك فضلا عن الشرقيين المتدينين بالمسيحية ، والذين هم الأحق بالوطن الذي هم مواطنوه ! .

ولو أن هذه «الحجة» الصليبية جازت ، لكان من حق المتدينين باليهودية في روسيا - مثلا - امتلاك المواطن التي نزلت فيها ألواح التوراة على موسى عليه السلام ! وقس على ذلك «حقوق» المسلمين في نيجيريا - مثلا - إزاء مكة والمدينة والحجاز ! .

إذا كانت «حجة» هذه الصليبية الكاثوليكية قد ظلت على هذا النحو من الغرابة والفجاجة والشذوذ . . فإن الصليبية البروتستانتية -

التي بدأت بانشقاق «كالفن» [١٥٠٩ - ١٥٦٤ م] و«مارتن لوتر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦ م] عن الكاثوليكية. قد أضفت الأساطير الدينية على هذا الحلم الاستعماري الغربي القديم، كما أشركت «العنصرية اليهودية» مع «الصلبية المسيحية» في مشروع الطمع في استعمار القدس وفلسطين، فبدأت تشيع في الأوساط البروتستانتية التفسيرات الأسطورية التي تجعل استيلاء الغرب النصراني على القدس وفلسطين، وحشر اليهود فيهما وهدم المسجد الأقصى، وإقامة «الهيكل اليهودي» على أنقاضه، هي المقدمات والشروط لعودة المسيح - عليه السلام - إلى الأرض ثانية ليحكم العالم ألف سنة سعيدة، بعد معركة «هرمجيدون»، التي سيباد فيها المسلمون ومعهم اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح!

وإذا كانت البروتستانتية قد جعلت من كتاب اليهود [العهد القديم] - كتابها المقدس، واتخذته المنطلق الذي تفسر في ضوءه إصحاحات [العهد الجديد]، فإن كتابات كثيرة تفسر هذا التحول في الموقف المسيحي من التراث اليهودي بالدور الذي لعبه اليهود في إحداث هذا الانشقاق الأكبر والأخطر الذي حدث في تاريخ المسيحية الغربية، والذي أفضى إلى الحروب الدينية الأوروبية - على مدى قرنين من الزمان [١٥١٧ - ١٦٧٢ م]، وهي الحروب التي أبيد فيها ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا!!

ففي الخطابات التي ألقيت في مؤتمر «مجمع بناي بريث» اليهودي -

في باريس، والتي نشرتها مجلة «كاثوليك جازيت» - عدد فبراير سنة ١٩٣٦ م. نقرأ قول الحاخامات المؤثرين في هذا «المجمع».

«والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخانها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيته (كهنتها الداخليين) ليكونوا روادا في حركتنا ويعملون من أجلنا. أمرنا عددا من أبناءنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم. ومع الأسف الشديد لم يبرهن جميع اليهود عن أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكولة إليهم. فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية، فكالفين كان واحدا من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة بتشجيع المستولين اليهود ودعم المال اليهودي، فنقد مخطط الإصلاح الديني، كما أذعن مارتن لوتر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضا نجح برنامج ضد الكنيسة الكاثوليكية بإرادة المستولين اليهود وتمويلهم.

ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغبتنا، برغم أن معظمهم،

وهم يخلصون الإيمان لدينهم لا يعون مدى إخلاصهم لنا. إننا نجد ممنون
للعون الثميمة الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقلة المدنية المسيحية، استعدادا
لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم»^(١).

لقد أصبح التراث اليهودي تراثا للبروتستانتية، وتم إلى حد كبير،
تهويد المسيحية. بدلا من مسحة اليهودية... وفي موضوع عن القدس
وفلسطين. حولت البروتستانتية المشروع الغربي القديم لاغتصاب
القدس وفلسطين من مشروع «صليبي - غربي» إلى مشروع غربي
«صليبي - يهودي»، وذلك عن طريق التأسيس الأسطوري لهذا
الاغتصاب!

● ففي سنة ١٥٢٣ م أصدر «مارتن لوتر» كتابه [المسيح يهوديا]
وفيه قال:

«إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود
وخدمهم. إن اليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف والغرباء، ولذلك فإن
علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فئات مائدة
أسيادها»^(٢).

ولقد أدخلت البروتستانتية إلى صميم العقيدة المسيحية ثلاثة
مبادئ:

(١) محمد السبك [الأصولية الإنجيلية: أو الصهيونية المسيحية] المرقف الأمريكي (ج ١)

٨: ٧، طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا - سنة ١٩٩١ م

(٢) المرجع السابق - ص ٣٦.

أولها: أن اليهود هم شعب الله المختار.

وثانيها: أن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين.

وثالثها: ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون.

وبهذا أصبحت عودة اليهود إلى فلسطين عقيدة دينية بروتستانتية بعد أن كانت هذه العودة عند الكاثوليك . . . وكذلك الأرثوذكس . هي العودة اليهودية من بابل التي طردوا إليها عقابا لهم على صلب المسيح . . . وهو الطرد الذي انتهى به . في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية . وجود الأمة اليهودية دينيا في التاريخ . .

ثم تقدمت البروتستانتية في هذا الميدان خطوة أخرى ، وذلك عندما فسرت أساطير «رؤيا يوحنا» تفسيراً مادياً ، وربطت . في هذا التفسير . عودة المسيح عليه السلام إلى الأرض . ليحكمها ألف سنة سعيدة ، بحشر اليهود في فلسطين ، وإعادة إقامة «هيكلهم» على أنقاض المسجد الأقصى . . فأصبح الاغتصاب اليهودي للمقدس وفلسطين شرطاً لتحقيق عقيدة العودة البروتستانتية . . أي أن عودة اليهود لفلسطين قد أصبحت دينا بروتستانيا تمهد لعودة المسيح عليه السلام .

ولقد استند البروتستانت . في هذه العقيدة . إلى رؤيا يوحنا التي

يرى البعض من الباحثين النصارى أن نصها هو تلفيق لنصوص ثلاثة ،
تحوّلت إلى نص واحد فى أواخر عهد الامبراطور الروماني
«دوميتيان» [٨١ - ٩٦ م] . ومن ثم فإن الثقة فى «نصها» ليست فوق
مستوى الشبهات . . وذلك فضلا عن أنها مجرد «رؤية» أسطورية
خاضعة «للتأويل»^(١) .

● وانطلاقا من هذا «الاعتقاد» البروتستانتي ، وجه اثنان من علماء
اللاهوت - هما «جوانا» و«ألبنزركار ترايت» - سنة ١٦٤٩ م . نداء إلى
الحكومة الإنجليزية - الانجليكانية - لإقامة الشراكة مع اليهود فى
المشروع الغربى لاغتصاب القدس وفلسطين ، فطالبوا بأن يكون
لبروتستانت - فى إنجلترا وهولندا - اشرف نقل اليهود إلى الأرض التى
وعد الله بها أجدادهم : إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنحهم إياها إرثا
أبديا»^(٢) .

● وفى سنة ١٦٥٥ م . تبنت إنجلترا - تحت حكم «أوليفر كروموويل»
[١٥٩٩ - ١٦٥٨ م] - هذا النداء . فقرّر «كروموويل» إلغاء قانون النفى
الذى سبق وأصدره الملك «إدوارد» [١٨٤١ - ١٩١٠ م] ضد
اليهود . . فبدأت عودتهم إلى إنجلترا . فتهيّأ لعودتهم - فى ركاب
الاستعمار الإنجليزي - للشرق ليكونوا ركيزة لهذا الاستعمار على
أرض القدس وفلسطين . . وبذلك غدت عودة اليهود لفلسطين

(١) المرجع السابق . ص ٣٦ ، ٣٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٠ .

مشروعاً استعماريًا غريبًا، تعمل الحكومات والمؤسسات الدينية البروتستانتية على وضعه في الممارسة والتطبيق.

● أما الكنيسة الأرثوذكسية فإنها قد نأت بنفسها عن هذه التفسيرات الأسطورية، التي جعلت اليهود شعباً مختاراً لله دون جميع الشعوب. . . والتي ربطتهم بالقدس وفلسطين رباطاً إلهياً مقدساً وأبدياً. . . والتي ربطت عودة المسيح إلى حكم الأرض ألف سنة سعيدة بقيام دولة يهودية في فلسطين.

لقد نأت الكنيسة الأرثوذكسية بنفسها عن الإيمان بهذه الأساطير، بل ورفضتها جملة وتفصيلاً منطلقاً من كلمات المسيح عليه السلام، التي قطعت بانقضاء كل تلك الدعاوى منذ ظهور المسيح.

فالهيكُل الذي يسعى اليهود والبروتستانت إلى إعادة إقامته على أنقاض المسجد الأقصى - قد سبق وقطع المسيح بخرابه إلى الأبد، وذلك عندما قال: "هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً. . . لن يترك حجر على حجر لا يهدم". وانطلاقاً من هذه الآيات - في الإنجيل - أعلنت هذه الكنيسة:

"إن تصريح المسيح هذا معناه: أنه لم يعد للهيكُل اليهودي وجود في المفهوم المسيحي، ومعناه أن الكيان الديني لإسرائيل كأمة وشعب قد انتهى منذ أن نطق المسيح - له المجد - بذلك النطق الرهيب. . . ومنذ أن نطق المسيح بهذا النطق لم يعد شعب إسرائيل القديم هو شعب الله المختار، ولم يعد هيكلهم هيكلًا للرب، ولم يعد الله راضياً عنهم

.. وقد قال العهد الجديد في عبارة واضحة صريحة : «فإن غضب الله قد حل عليهم إلى النهاية» (متى ١٦-٢) (١).

وهكذا نجحت الأرثوذكسية بامتياز فيما سقط فيه البروتستانت ..
لأن الأولى كنيسة شرقية وطنية ، بينما سخر البروتستانت الغربيون
الأساطير لخدمة المقاصد الاستعمارية في اغتصاب القدس
وفلسطين ! ..

(١) الأنبا غريغوريوس [وثائق للتاريخ : الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط] ص ١٨٠ ، ١٨١ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

الاستعمار يجسد الأساطير

وعندما استحوذت ثروات أمريكا اللاتينية على أطماع الكاثوليكية الإسبانية . . توجهت الغزوة الاستعمارية الفرنسية - التي قادها «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] - على مصر والشرق [١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م] لتحقيق ذات الحلم الصليبي الغربي القديم : انتزاع القدس وفلسطين من أيدي الإسلام والمسلمين . . فسارت «الوضعية - الدهرية» الغربية - إزاء هذه الأطماع - على طريق الصليبيين اللاهوتين ! .

وحتى لا يكرر «بونابرت» أخطاء الغزوة الصليبية الأولى ، عندما فشلت في إيجاد ركائز وعملاء لاستعمارها من أبناء الأقليات الدينية في الشرق . . بدأ «بونابرت» أولى محاولات الغرب - العملية - لإقامة حلف وشراكة مع اليهود ضد العرب والمسلمين . . فأصدر نداءه الشهير - وهو على أسوار «عكا» سنة ١٢١٣ هـ ٤ أبريل سنة ١٧٩٩ م - إلى يهود العالم ، يدعوهم إلى التحالف مع غزوته الاستعمارية وإلى خدمة مقاصده الامبراطورية ، مقابل إعادة زرعهم في أرض فلسطين . . وقال في هذا النداء :

«أيها الشعب الفريد!.. إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن، حاملة إرث إسرائيل.. إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به.. قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق التي استنهانت طويلاً بمدينة داود، وأذلتها!.. ياورثة فلسطين الشرعيين! إن الأمة الفرنسية.. تدعوكم إلى إرثكم، بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء»!!^(١).

● وعندما هزم الجهاد الإسلامي للشعب المصري، بقيادة السيد عمر مكرم [١١٦٨، ١٢٣٧ هـ / ١٧٥٥ - ١٨٢٢ م] - حملة بونايرت، فخرجت من مصر مدحورة [١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م].. وقامت في مصر دولة حديثة وقوية - تحت قيادة محمد علي باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ / ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] - سعت هذه الدولة إلى تجديد شباب الشرق الإسلامي، لإنقاذه من الضعف العثماني، الذي أخذ الاستعمار الغربي في استغلاله، بل وحراسته، حتى يربث ولايات الدولة العثمانية، التي سماها دولة الرجل المريض!.. سعت الدولة المصرية الحديثة إلى توحيد الشرق العربي - بما فيه القدس وفلسطين، مع مصر والسودان والصومال واليمن.. فبنت دولة حديثة وكبرى.. وعند ذلك شرع الاستعمار الإنجليزي - المنافس للاستعمار الفرنسي على احتلال الشرق - في التصدي لهذا المشروع الإنقاذي الذي قادته الدولة المصرية الحديثة.. فاحتلت إنجلترا عدن سنة ١٨٣٨ م، لمواجهة

(١) د. محمد عمارة [في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] ص ٢١ - طبعة القاهرة سنة

هذا المشروع التوحيدي والإنقاذي - وأخذت في اللعب على التناقضات بين محمد علي باشا وبين السلطان العثماني . . . وأسكت بخيوط الشراكة مع الجماعات اليهودية - تلك الشراكة التي دعا إليها بونابرت إبان حملته على مصر . . . فكان أن حاول المليونير اليهودي الإنجليزي «موسى حاييم مونتفيوري» [١٧٨٤ - ١٨٨٥ م] في ١٢٥٥ هـ سنة ١٨٣٩ م استئجار عدد من القرى الفلسطينية ، لبدء المشروع الاستعماري الاستيطاني اليهودي على أرض فلسطين . . . لكن دولة محمد علي باشا رفضت - بوعي مبكر - هذا المشروع .

● وفي سنة ١٨٣٨ م . بدأت إنجلترا تسعى لتوظيف اليهود في المشروع الاستعماري الغربي ، العامل - يومئذ - على ضرب مشروع مصر محمد علي باشا الكبير . . . فأنشأت أول قنصلية الإنجليزية في القدس - سنة ١٨٣٨ م . وعينت قسيسا بروتستانيا نائبا لقنصلها فيها! .

● وفي سنة ١٢٥٥ هـ سنة ١٨٣٩ م نشر اللورد «آشلي كوبر» (إيرل شافتسبري) [١٨٠١ - ١٨٨٥ م] دراسته التي يقول فيها : «إن اليهود هم الأمل في تجديد المسيحية ، وعودة المسيح ثانية» ليحكم العالم ألف سنة سعيدة . . .

● وفي سنة ١٢٥٥ هـ سنة ١٨٣٩ م أرسل سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية «بالمرستون» [١٧٨٤ - ١٨٦٥ م] رسالة يقترح فيها دعوة أوروبا للاقتداء بالملك الفارسي «قورش» [٥٥٧ -

٥٢٨ ق. م] وإعادة اليهود إلى فلسطين، كما سبق وأعادهم "قورش" من السبي القديم!

● وفي سنة ١٢٥٦ هـ سنة ١٨٤٠ م. في الوقت الذي كانت الامبراطوريات الاستعمارية الأوروبية تتحالف، رغم ما بينها من تناقضات وصراعات استعمارية ضد مصر وحكومة محمد علي باشا، وتسعى لتفرض عليه معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م، التي أجبرته على سحب جيوشه من الشام... كانت إنجلترا تسعى لدى السلطان العثماني كي يسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين، باعتبار ذلك العقبة أمام توحيد المشرق العربي مع مصر، وللحيلولة دون تكرار التجربة الوحدوية لمحمد علي في مستقبل الأيام!... فطلب وزير الخارجية الانجليزى - "الورد بالمستون" - من سفيره في الأستانة "بونسيني" في ١١ - ٨ - ١٨٤٠ م أن يطلب من السلطان العثماني السماح بالهجرات اليهودية إلى فلسطين ولقد جاء في هذه المذكرة - التي حملت رقم ١٣٤ / ٣٩٠ / ٨٧ :

«... ويكون من مصلحة السلطان الواضحة، أن يشجع اليهود على العودة إلى فلسطين، والإقامة فيها، لأن ما سيحملونه معهم إلى البلاد من الثروة يزيد من موارد دولته. إن الشعب اليهودي يعودته إلى البلاد، بإذن السلطان، وفي حمايته، وبدعوة منه، يكون حجر عثرة في سبيل أى أهداف سيئة تخطر ببال محمد علي أو من يخلفه... ضع هذه الاعتبارات أمام أعين الحكومة العثمانية بصفة سرية، وابدل وسعتك

في إقناعهما بأن تقدم كل تشجيع عادل لليهود أوروبا لأن يعودوا إلى فلسطين...^(١)

● وفي نفس العام - ١٨٤٠ م - قدم اللورد الإنجليزى «شافتسبرى» برنامجا إلى مؤتمر لندن بشأن توطيد اليهود في فلسطين ، على قاعدة : «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» - وهي القاعدة التي تبنتها الشراكة الصليبية - الصهيونية «لاغتصاب القدس وفلسطين» .

● وبعد أربعة أعوام - في سنة ١٢٦٠ هـ سنة ١٨٤٤ م - ألقى البرلمان الإنجليزى لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين» ! .

● وفي سنة ١٢٦١ هـ سنة ١٨٤٥ م نشر مشروع الإنجليزى «ادوارد متفورد» «إقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين ، تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة ، إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها» . . وهو المشروع الذي حققه الانتداب البريطانى على فلسطين في القرن العشرين ! .

● وفي سنة ١٨٦٠ م صدر كتاب «ارنست لاهاران» - المستشار الخاص لنابليون الثالث [١٨٠٨ - ١٨٧٣ م] بعنوان [المسألة الشرقية : إعادة بناء الأمة اليهودية] .

● وفي سنة ١٨٦٥ م تأسس - في لندن - برعاية الملكة «فكتوريا»

(١) جورج كيرك (مؤلف تاريخ الشرق الأوسط الرحمة غير الاسكندرية . طبعة القاهرة مشروع الألف كتاب . وانظر كذلك : د . محمد عمارة [إسرائيل هل هي سامية؟] ص ١٤ - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

[١٨١٩ - ١٩٠١ م] رئيسة الكنيسة الأنجليكانية . . ورئيس كنيسة
كانتربري - « صندوق استكشاف فلسطين » .

● وفي سنة ١٨٨٠ م صدر كتاب [أرض جلعاد] لنورنس أوليفنت
[١٨٢٩ - ١٨٨٨ م] عضو البرلمان الإنجليزي الذي يقترح فيه إقامة
مستوطنة يهودية إلى الشرق من نهر الأردن ، تكون مساحتها مليوناً
ونصف المليون فدان ، تحت السيادة العثمانية ، وتحت الحماية
البريطانية ! ليهاجر إليها يهود روسيا ورومانيا . .

● وفي سنة ١٨٨١ م وقع حادث اغتيال القيصر الروسي
«الاسكندر الثاني» [١٨١٨ - ١٨٨١ م] . . وتعرض اليهود في روسيا
للاضطهاد ، فتدفقت هجراتهم إلى خارج روسيا .

● وفي سنة ١٨٨٢ م ذهب القس الإنجليزي «وليم هشر» [١٨٤٥ -
١٩٣١] إلى السلطان عبد الحميد الثاني [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ / ١٨٤٢ -
١٩١٨ م] في القسطنطينية ، محاولاً إقناعه بتسهيل هجرة اليهود إلى
فلسطين .

● وفي نفس العام - سنة ١٨٨٢ م - عقد في «المختلرا» المؤتمر الأول
لرجال الدين المسيحيين ، من أجل «إيجاد حل للمسألة اليهودية» .

● وفي سنة ١٨٩٤ م صدر كتاب الدبلوماسي الإنجليزي ،
القس «وليم هشر» [إعادة اليهود إلى فلسطين] . تنفيذاً للنبوءات
الدينية .

● ويعد أن تبلور المشروع الغربي لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين . . بعد أن تبلور هذا المشروع الاستعماري في اللاهوت البروتستانتي ، والسياسة الاستعمارية الغربية . . جاء دور التطبيق لمشروع الشراكة الصهيونية للتيار القومي اليهودي مع الصليبية البروتستانتية . . جاء دور هذه الشراكة ، فصدر كتاب «تيودور هرتزل» [١٨٦٠ - ١٩٠٤ م] عن [الدولة اليهودية] في سنة ١٨٩٦ م . . وأرسل «هرتزل» - في نفس العام سنة ١٨٩٦ م - صديقه «نيولنسكى» إلى السلطان العثماني عبد الحميد ، ليطلب منه فتح أبواب فلسطين للهجرات اليهودية ، عارضا عليه إعراءات مالية ، وتسخير النفوذ اليهودي في الدوائر الغربية لحساب الدولة العثمانية . . ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذا العرض ، من منطلقات مبدئية ووعى سياسى وقال لـ «نيولنسكى» :

«إذا كان هرتزل صديقتك بقدر ما أنت صديقى ، فانصحك ألا يسير أبدا في هذا الأمر . لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدة من البلاد ، لأنها ليست لى ، بل لشعبى . لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإرافة دمائهم ، وقد غدوها فيما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمع لاحد باغنصابها منا . لقد حاربت كتيبتنا فى سورية وفلسطين ، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر فى بلقنة لأن أحدا منهم لم يرض بالنسليم ، وفضلوا أن يموتوا فى ساحة القتال .

الإمبراطورية العثمانية ليست لى ، وإنما للشعب العثماني ، لا أستطيع أبدا أن أعطي أحدا أى جزء منها ، ليحتفظ اليهود ببلايتهم ، فإذا

قسمت الإمبراطورية فقد بحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بشريحتنا لأى غرض كان...»^(١٧).

● لكن مقومات الشراكة «الصليبية - الصهيونية» كانت قد اكتملت... وبدأ التنفيذ للمخطط القديم فانعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى «بال» بسويسرا - فى أغسطس سنة ١٨٩٧ م... وشارك فيه - مع «اليهود - الصهاينة» - ممثلون «للصهيونية - المسيحية»... التى أصبحت تعنى: «المسيحي الذى يدعم الصهيونية»... ولقد أطلق «هرتزل» هذا اللقب - أول ما أطلقه - على المليونير السويسرى «هنرى دونانت» [١٨٢٨ - ١٩١٠ م] مؤسس منظمة «الصليب الأحمر»، والذي حضر المؤتمر الصهيونى الأول، مع عدد من رموز «المسيحية - الصهيونية».

وبدأت منذ ذلك التاريخ - الخطوات العملية والحثيثة، لإقامة المؤسسات الصهيونية العاملة - ضمن الشراكة «الصليبية - الإمبريالية» - على إقامة الاستيطان الصهيونى فى أرض فلسطين وتحويلها إلى قاعدة للهيمنة الغربيه على الشرق الإسلامى من جديد.

● وفى مايو سنة ١٩١٦ م قررت الامبراطوريات الاستعمارية الغربيه - فى اتفاقية «سيكس - بيكو» - تفتيت ووراثه وتوزيع المشرق العربى بين هذه الإمبراطوريات.

(١٧) [ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية] ج ١ ص ٦٦ طبعه القاهرة - سنة الاستعلامات - بدون تاريخ

● وفي العام التالي - في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ م - صدر وعد «جيمس بلفور» [١٨٤٨ - ١٩٣٠ م] وزير الخارجية الانجليزي، للحركة الصهيونية - ممثلة في المليونير الصهيوني «لورد روتشيلد» [١٨٤٥ - ١٩٣٤ م] بإقامة الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين . . وهو الوعد الذي جاء فيه :

«وزارة الخارجية.

في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ م .
عزيزي اللورد روتشيلد.

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالتكم، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على آماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى» .

وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح .

المخلص : ارثر بلفور...» (١)

(١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٥ .

وفي هذا التصريح تم الاعتراف باليهود «شعباً» له كل حقوق الشعوب في أوطانها . . وتم التأكيد على الحقوق السياسية لليهود في أي مكان يعيشون فيه . . بينما أشير إلى «الشعب الفلسطيني» بلفظ «الطوائف غير اليهودية» مع إغفال الإشارة إلى «حقوقهم السياسية» والاكتفاء بالإشارة إلى «حقوقهم المدنية والدينية» فقط لا غير!! . .

● وتسارعت وناثر التنفيذ لمخطط الاغصصاب «الصليبي» الصهيوني «للقُدس وفلسطين» . فقام الجيش الإنجليزي باحتلال فلسطين، ودخول القدس سنة ١٩١٧ م . . وعندما دخلها الجنرال الإنجليزي «النبى» [١٨٦١ - ١٩٣٦ م] قال كلمته الشهيرة : «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!

● ولم يكن «النبى» وحده الذى أفصح - فى القرن العشرين - عن حقيقة الروح الصليبية القديعة والدينية والتي تحرك وتقود الجيوش الاستعمارية الغربية - حتى فى عصر «الحدأة» و«العلمنة»!

فمجلة «بنش» Punch - الانجليزية - نشرت - يومئذ - رسماً «كاريكاتورياً» «لريتشارد قلب الأسد» [١١٥٧ - ١١٩٩ م] - الملك الصليبي الذى حارب صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣ م] وكتبت - على لسانه - تحت الرسم : «أخيراً تحسق حلمي»! . . وفوق الصورة عنوان : «آخر حملة صليبية»!

أما الجنرال الفرنسي «جورو» [١٨٦٧ - ١٩٤٦ م] فإن العلمانية

الفرنسية المتوحشة لم تمنعه - عندما دخل على رأس جيشه إلى دمشق سنة ١٩٢٠ م - من أن يذهب إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ، فيركله بقدمه ويقول : «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين» !! .

● وفي سنة ١٩٢٢ م أقرت «عصبة الأمم» الانتداب البريطاني على فلسطين ، لوضع «وعد بنقور» - بواسطة الاستعمار - في الممارسة والتطبيق . .

وكان الوجود اليهودي - البشري والاستيطاني - قد بدأ في التزايد على أرض فلسطين ، رغم الموقف الرسمي للدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد الثاني . . فبفعل النفوذ الاستعماري المتزايد . . ومن ثغرات فساد الإدارة العثمانية ، أخذ هذا الوجود اليهودي في التسلل إلى فلسطين .

فمشروع المليونير اليهودي الإنجليزي «حاييم مونتيغوري» [١٧٨٤ - ١٨٨٥ م] الاستيطاني ، الذي رفضته دولة محمد علي باشا سنة ١٨٣٩ م . . تم تنفيذه سنة ١٨٤٥ م . بعد معاهدة لندن سنة ١٨٤١ م التي أجبرت محمد علي باشا على سحب الجيش المصري من الشام وفلسطين .

وبعد أن كان الوجود اليهودي على أرض فلسطين سنة ١٨٣٧ م لا يتعدى ثمانية آلاف يهودي ، ضعفاء متفرقين . . ارتفع عددهم سنة ١٨٥٢ م إلى ١٣٠٠٠ نسمة أي ٤٪ من سكان فلسطين . .

وعند قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م كان عدد اليهود في

فلسطين ٦٠٠٠٠ نسمة، لا يحمل الجنسية العثمانية منهم سوى ٣٩٠٠٠ نسمة. والباقون زوار ومقيمون غير شرعيين!.. وكان تعداد العرب الفلسطينيين - يومئذ - ٦٨٣٠٠٠ نسمة.

وبعد وعد بلفور.. والاستعمار الإنجليزي.. ورعاية هذا الاستعمار هجرات اليهود الصهاينة إلى فلسطين.. زاد عدد اليهود في فلسطين من ٥٥٠٠٠ نسمة سنة ١٩١٨ م إلى ٦٤٦٠٠٠ نسمة سنة ١٩٤٨ م - أي زادت نسبتهم من ٨٪ إلى ٣١٪ من سكان فلسطين.

أما ملكية اليهود في أرض فلسطين، فإنها قد ارتفعت من نصف مليون دونم - أي ٢٪ من أرض فلسطين - سنة ١٩١٨ م، لتصل سنة ١٩٤٨ م إلى ١.٨٠٠.٠٠٠ دونم - أي ٦.٧٪ من أرض فلسطين.

● لكن قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بضغط الحكومات الاستعمارية - القرار ١٨١ في نوفمبر سنة ١٩٤٧ م - قد أعطى اليهود - الذين يملكون ٦.٧٪ من الأرض - ٥٤٪ من أرض فلسطين!!.. وترك للعرب - الذين يملكون ٣.٩٣٪ من الأرض - ٤٥٪ من الأرض. وأبقى ١٪ هي مساحة القدس التي أراد هذا القرار تدويلها!!.

● ولم يقف أمر الشراكة «الصليبية - الصهيونية» عند هذه الحدود.. فبالدعم غير المحدود للمكيان الصهيوني الذي قام رسمياً

في مايو سنة ١٩٤٨ م، وبالعنوان الصهيوني، المتكرر والمحمى عسكريا وسياسيا من القوى الاستعمارية الكبرى . . غدت كل فلسطين في قبضة الاغتصاب الصهيوني ، وأصبح هذا الكيان «وكيل» الإمبريالية الغربية في احتلال الشرق الإسلامي . . وضرب مشاريع التقدم والنهوض للعرب والمسلمين ! .

الصليبية البروتستانتية الأمريكية

ولأن البروتستانتية الأمريكية سيقدر لها أن تلعب الدور الأول والأكبر والأخطر في دعم الاغتصاب الصهيوني للقدس وفلسطين، فلا بد من وقفة خاصة أمام دور البعد الديني والتراث التوراتي في تكوين ثقافة هذه البروتستانتية وسياستها إزاء هذه القضية . . هذا البعد الذي جعل هذه البروتستانتية «المقاتل الأول» . والأشرس في سبيل تمكين اليهود من هذا الاغتصاب .

وفي هذا المقام، علينا أن ننبه إلى حقيقة أنه ليس هناك «فكر» مجرد عن «المصلحة» . . كما أنه ليست هناك «مصالح» تسيرونها عبارة من «الأفكار والفلسفات والعقائد والأيديولوجيات» . فالمصالح لا تتحقق بذاتها دون عقائد وأفكار وفلسفات وحتى ديانات تحفز الناس على تحقيق هذه «المصالح» . . فجميع «الصراعات» . والنزاعات . والحروب» التي يتغيا أصحابها تحقيق «مصالحهم» ، لا بد لها من «عقائد» صراعية وقاتلية تعبى الأطراف المتصارعة وتشحنهم وتحشدتهم للقتال أو الصراع أو التدافع الذي يحقق هذه «المصالح» المبتغاة من وراء هذه الصراعات .

● ولقد رأينا في العقيدة الصليبية الكاثوليكية، التي حركت وجهزت الحملة الصليبية التي قادها «كريستوفر كولمبس» [١٤٥١-١٥٠٦ م] - عقب إسقاط «غرناطة» سنة ٨٩٧ هـ - سنة ١٤٩٢ م - كيف أن وجهتها الأصلية كانت الالتفاف حول العالم الإسلامي، والذهاب إلى جزر الهند الغربية، لتحويل التجارة العالمية إلى طريق «رأس الرجاء الصالح» بعيدا عن طرقها التي تمر بالعالم الإسلامي، وذلك لإضعاف العالم الإسلامي اقتصاديا ولتحقيق الفوائد المالية للصليبية الكاثوليكية، كي تبدأ حملة عسكرية صليبية جديدة للاستيلاء على القدس وفلسطين من جديد!

فلما ضل «كولمبس» طريقه، وذهب إلى أمريكا، وجمع «الذهب الكثير»، عاد فطلب من البابا «اسكندر السادس» [١٤٩٢-١٥٠٣ م]، ومن ملكي إسبانيا «فرديناند» [١٤٧٩-١٥١٦ م] و«إيزابيللا» [١٤٧٤-١٥٠٤ م] البدء بتحقيق الهدف الديني، اغتصاب القدس وفلسطين - والذي سيذكر، هو الآخر ذهباً وسمناً وعسلاً - بتعبير بابا الحملات الصليبية الأولى «أوربان الثاني» [١٠٨٨-١٠٩٩ م] في سنة ١٠٩٥ م - فللاستيلاء على الذهب والفضة والعسل والمغانم والخزائن - أي «المصالح» لا بد من «العقائد... والأفكار... والفلسفات والأيدولوجيات» التي تحشد الناس إلى ميادين القتال في سبيل هذه «المصالح» وهو ما يسمى، في كل جيوش العالم، بـ «العقيدة القتالية» في الصراع.

«فالعقائد... والأفكار» ضرورة لازمة لتحقيق «المصالح». ثم إن

تحقق هذه «المصالح» يعود بدورها لإنتاج «أفكار» . وأيديولوجيات «تساعد على ترسيخ» «المصالح» والحفاظ عليها، فهي علاقة «جدلية» . وعضوية قائمة - دائما وأبدا - في جميع الصراعات، بين «المصالح» وبين «العقائد» . والأفكار» .

● وفي «الحالة الأمريكية»، فلقد انطلق «البيوريتانيون» puritans البروتستانت الذين مثلوا جيل الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، الذين أبادوا شعوب وحضارات هذه القارة، انطلقوا إلى تحقيق «مصالحهم» وأهدافهم في اغتصاب الأرض وثرواتها من الرؤية التوراتية التي جعلت من إرادة العبرانيين القدماء لشعوب أرض كنعان - فلسطين - أمرا إلهيا، وتكليفنا دينيا من الرب «يهوه» إلى «يوشع بن نون» والعبرانيين القدماء .

لقد انطلق هؤلاء «البيوريتانيون» من هذه الثقافة التوراتية - التي جعلتها البروتستانتية عقيدتهم المقدسة - فرأوا في غزوهم للقارة الأمريكية «خروج» من أوروبا إلى أمريكا، يعيد إحياء «الخروج» العبراني القديم من أرض مصر إلى أرض كنعان . . . ومن ثم يعيد هذا الخروج الجديد «إنجاز الإباداة»، المأمور بها دينيا!، التي حققها العبرانيون لشعوب أرض كنعان . . . يعيد هذا الخروج «البيوريتاني» إنجاز هذا الإباداة على أرض القارة الأمريكية في القرن السابع عشر للميلاد!

لقد كانوا يشعبدون بما كتب في سفر الخروج على لسان الرب،

إذ يقول لموسى عليه السلام: «اكتب تذكارا فى الكتاب، وضعه فى
سامع بوشع: فإننى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» - اصحاح
١٤: ١٧.

وكانوا يتعبدون بما كتب فى سفر التثنية من أمر الرب للعبرانيين
القدماء بإبادة الشعوب السبعة - أو العشرة - فى أرض كنعان:
القنانيين، والقنانيين، والقدمونيين، والحيتيين، والفرزيين، والرفاتيين
والعموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين - وذلك
لتصبح كنعان أرضا بلا شعب، فيسكنها شعب بلا أرض.

«سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم -
[تهلكهم] - لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم. ولا تصاهرهم.. لأنك
أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا
أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. وتاكل كل الشعوب
الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عينك عليهم» - اصحاح ٧: ١ - ٣،
٦، ٧، ٤١، ١٦ -.

وكانوا يؤمنون، كذلك، ويتعبدون بما كتب فى سفر العدد من
أوامر الرب للعبرانيين القدماء: «إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان.
فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. ثم تكون الأرض وتسكنون فيها..
وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تسبقون منهم
أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم فى الأرض التى
أنتم ساكنون فيها..» - اصحاح ٢٣: ٥٠ - ٥٣، ٥٥.

كان هؤلاء «البيوريتانيون» - الآباء البروتستانت المؤسسون
للولايات المتحدة الأمريكية - يؤمنون بهذا الذي كتب في أسفار العهد
القديم «عقيدة» حشدت العبرانيين القدماء - بقيادة يوشع بن نون -
لإبادة شعوب أرض كنعان - فلسطين - حتى تكون أرضاً بلا شعب ،
فتكون ملكاً لهؤلاء العبرانيين ، الذين خرجوا من مصر شعباً بلا
أرض ! .

وانطلاقاً من هذه الثقافة التوراتية . . وحتى يبرر هؤلاء
«البيوريتانيون» لأنفسهم إبادة شعوب القارة الأمريكية وحضاراتها ،
اعتبروا غزوهم لأمريكا «خروجاً عبرانياً جديداً» يقومون فيه بما قام به
العبرانيون الأولون في خروجهم القديم . . ويقومون به المجتمع
العبراني الجديد على أرض أمريكا ! -

ولقد أفضت هذه العقائد التوراتية بالبروتستانت الأمريكيان ،
الذين أقاموا «كنعان الجديدة» . . والقدس الجديدة» على أرض
أمريكا ، إلى احتضان اليهود المهاجرين إلى أمريكا ، فأقاموا معهم
علاقات حميمة ، على حين كانت علاقاتهم سيئة مع الكاثوليك ! . .
بل ومكنوا اليهود من إقامة معابدهم في الأرض الجديدة ، قبل أن
يسمحوا ببناء الكنائس للكاثوليك ! .



وبعد أن أنجزت هذه الثقافة التوراتية مهامها في القيام بدور
«عقيدة» الغزو البروتستانتي للقارة الأمريكية ، أخذت تتحول إلى

ميدان آخر ، وهو التبرير والتغليف لتطلعات أمريكا الاستعمارية في الشرق الإسلامي ، وذلك باستخدام الأقليات اليهودية قاعدة ارتكاز لتحقيق «المصالح الاستعمارية» ولتحقيق «الأساطير البروتستانتية» حول عودة المسيح عليه السلام - كما صنعت البروتستانتية الإنجليز في هذا الميدان .

فبهذه العقيدة التوراتية ، برز «البيوريتانيون» البروتستانت «خروجهم» إلى أمريكا وإبانتهم لشعوب الهند الحمر .

وبهذه العقيدة التوراتية ، أخذت أمريكا الاستعمارية تعمل على إعادة اليهود إلى الشرق الإسلامي لتحقيق بواسطتهم الدولة اليهودية ، التي تكون قاعدة للهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامي ، والتي تفيم الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى ، حتى يفتح الطريق لتحقيق الأساطير البروتستانتية في عودة المسيح - عليه السلام - كي يحكم الأرض ألف سنة سعيدة ، وفق التفسير «الخرفي» لأسطورة «رؤيا يوحنا» ! .

لقد سبق لما رتن لوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦ م] تحديد العقائد التي جعلت التراث اليهودي مقدسا لدى البروتستانت . . والتي ربطت البروتستانت باليهود . ، عقائد :

- ١ - أن اليهود هم شعب الله المختار .
- ٢ - وأن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين .
- ٣ - وربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح . في العقيدة الألفية . بقيام دولة صهيون .

ثم جاءت البروتستانتية الأمريكية . في مرحلة النطولات الاستعمارية لدولتها . لتجعل من هذه العقائد . التي تربط بين اليهود وفلسطين برباط إلهي . والتي تجعل إعادة اليهود إلى فلسطين الشرط والمقدمة الضرورية لعودة المسيح . عليه السلام . . . جاءت هذه البروتستانتية الأمريكية لتجعل من هذه «العقائد» الثقافية والأيدولوجية «المسيحية» «الصهيونية» ، التي تجعل من إقامة الكيان الصهيوني على أرض القدس وفلسطين ، الأداة الاستعمارية ، لإقامة قاعدة استيطانية في قلب الشرق الإسلامي ، لتحقيق «مصالح» الهيمنة الاستعمارية . . . ولتحقيق «عقائد» . وأساطير» هذه البروتستانتية في آن واحد ! .

وفي نص بالغ الأهمية ، ومتميز بالحيادية والموضوعية ، النابعتين من ثقافة كاتبه . العقيدة الأرثوذكسية . . . والوعي السياسي الوطني والحضاري . . . يتحدث الباحث القبطي المصري «سمير مرقس» عن العلاقة الجدلية والعضوية بين العقائد التوراتية والأساطير البروتستانتية وبين الاستعمار البيوريتاني لأمريكا . . . ثم دور هذه العقائد التوراتية في المشروع «الصليبي» - الصهيوني «مشروع» «المسيحية الصهيونية» . لاغتصاب القدس وفلسطين .

في هذا النص الهام ، يقول الباحث «سمير مرقس» :

«لقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن المهاجرين الجدد البروتستانت ، كانوا متأثرين باليهودية تأثراً مركباً . لاهوتياً ، وتاريخياً ، وكتابياً ، وسياسياً ،

حيث أفرز هذا التأثير صبغة «تعايش» بين البروتستانتية واليهودية بقيت إلى الآن، وبالذات في الاتجاهات والسيارات الأصولية. ويعود هذا التأثير لرؤية المستوطنين الجدد - البروتستانت للمعالم الجديد باعتباره «القدس الجديدة»، حيث شعروا أن تجربتهم الناشئة تجعلهم تماثلين مع المنفيين والعبرانيين الذين ذكروا في التوراة، فأصبحت أمريكا لديهم «كنعان الجديدة»، فهم فروا مثل العبرانيين القدماء من عبودية «فرعون» (الملك جيمس الأول [١٥٦٦ - ١٦٢٥ م] ملك إنجلترا) من «أرض مصر» (إنجلترا) بحثا عن ملاذ في الأرض الجديدة الموعودة من الاضطهاد الديني.

وكان لهذا الشعور أثره على أرض الواقع، تمثل في الكيفية التي تعايش بها المستوطنون الجدد مع المكان، من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التي يفسدون إليها (حبرون، وكنعان) وإطلاق أسماء عبرانية على المواليد الجدد (إبراهيم، سارة، العازر...). وفرضوا تعليم اللغة العبرية في مدارسهم وجامعاتهم، حتى أن أول دكتوراه منحتها جامعة «هارفارد» سنة ١٦٤٢ م كانت بعنوان «العبرية هي اللغة الأم»، وأول كتاب صدر في أمريكا «سفر المزامير» وأول مجلة صدرت حملت عنوان «اليهودي» بل وأطلقوا على نهر كونورادو الاسم التوراتي القديم «باشان»!

يضاف إلى ما سبق، أنه سمح لليهود ببناء محافلهم الدينية في وقت مبكر. إثر هجرتهم إلى أمريكا، ونم لهم ذلك قبل أن يسمح بذلك للكاثوليك!

لقد باتت أمريكا بالنسبة لهؤلاء البروتستانت «النموذج الروحي
للعهد القديم العبري»، بل يجدهم يسمون أنفسهم «أطفال
إسرائيل Children of Israel».

ولقد وجدت في هذه البيئة أرضية مشتركة بين البروتستانتية واليهودية
لم تتحقق بين البروتستانتية والكاثوليكية، وسرعان ما كان لهذه العلاقة
الحميمة تجلياتها العملية، فمع بداية القرن الثامن عشر، احتلت فلسطين
«كوطن لليهود» مكانة خاصة لدى البروتستانت، الأمر الذي ولد
اعتقادا راسخا في اللاهوت البروتستانتي الأمريكي بضرورة «البعث
اليهودي».

إن هذه العلاقة، أدت إلى أن تتضمن الثقافة البروتستانتية، في وجهها
الاصولي، كثيرا من تعاليم اليهودية الروحية والعقائدية، ثم «الصهيونية
اليهودية» لاحقا، حيث أصبح «هناك ميل بروتستانتي قوى للاعتقاد بأن
مجىء المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية».

لقد مال البروتستانت إلى هذا التوجه، بل يمكن القول بأنهم اعتنقوه،
وسعوا إلى ضرورة العمل من أجل الإحياء القومي للشعب اليهودي،
والتقوا عمليا مع الحركة الصهيونية في مبادئها. وهذا هو مؤسس
الكنيسة المرمونية القس «جوزيف سمث» [١٨٠٥ - ١٨٤٤ م] بتبني نظرية
البعث اليهودي في فلسطين، وتلحق به كوكبة من ألمع اللاهوتيين
الإنجيليين، مثل «سايروس سكوفيلد» والقس «وليم بلاكستون»
[١٨٤١ - ١٩٣٥ م]، حيث عملوا على إنشاء مستوطنات لليهود،

مثلما فعل "وردر حريسون" الذى قام بإنشاء مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على شئون الزراعة والإنتاج الزراعى *.

ثم يرصد المؤرخون التحول المهم من مجرد التعاطف الوجداني والتبرير اللاهوتي إلى الضغط السياسى لتحقيق هذا الهدف الروحى - السياسى، ألا وهو إقامة وطن يهودى، فتجد القس "بلاكستون" يقوم بتأسيس "البعثة العبرية من أجل إسرائيل" المستمرة الآن باسم "الزمالة اليسوعية الأمريكية"، والتي تعد قلب جهاز الضغط Lohdy الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا اتخذ الدينى السياسى، واللاهوتى بالتاريخى، فخلق علاقة مميزة بين البروتستانتية والصهيونية اليهودية بشكل خاص، بل زاد الأمر أن تأسس ما يسمى بالصهيونية المسيحية.

لقد آمنت الصهيونية المسيحية، قبل تأسيس دولة إسرائيل بعودة اليهود كنسب إلى أرض الموعودة فى فلسطين وإقامة كيانه الوطنى فيها، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح، وتأسيسه مملكة الألف عام. وبعد قيام إسرائيل، أخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل كمحدث وإشارة تؤكد معتقداتها^(١).

(١) سمير عرقى رسالة فى الأصول البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية ص ٨٠٦. طعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م. والحماية والعقد العرب والمسألة القبطية فى الشرق الأوسط ص ٩٩ طعة القاهرة ٢٠٠٠ م.

تلك هي الأصول والمنطلقات الدينية والفكرية والثقافية للسياسة الأمريكية وللدور الأمريكي في المشروع الغربي لاغتصاب القدس وفلسطين. . . والتي مثلت، ولا تزال تمثل العقائد الخافزة للسياسات والمواقف الأمريكية في هذا الميدان.

وفي سياق هذا التاريخ الأمريكي إزاء هذه القضية. . . قضية الصراع على القدس وفلسطين، كانت هناك العديد من «المحطات» و«المواقف» الاستعمارية. . . التي نقرأ فيها، على سبيل المثال:

● في سنة ١٨١٨ م طالب الرئيس الأمريكي «جون آدمز» [١٧٣٥ - ١٨٠٣ م] باستعادة اليهود لفلسطين، وإقامة حكومة يهودية مستقلة فيها.

● وفيما بين سنة ١٨٠٠ م وسنة ١٨٧٥ م بلغ عدد الكتب التي ألفتها ونشرتها «المسيحية - الصهيونية» في أمريكا والمجلدات وحدهما - أي خلال ثلاثة أرباع القرن - حوالي الألفين! . . . دارت كلها حول فلسطين والاستعمار اليهودي لفلسطين!

وبذلك تبلورت في الثقافة البروتستانتية الأمريكية «العقيدة» و«الحركة». «المسيحية - الصهيونية». التي يعرفها أحد القساوسة الأمريكيان - «والتر ريجانز» - بقوله: «إن الصهيونية النوراتية، التي هي بالتأكيد أمنية كل مسيحي، تتعلق، بشكل أساسي، بالله وبأهدافه ولذلك تفهم الصهيونية، من خلال الرؤية المسيحية، على أنها جزء من اللاهوت الديني، وليست جزءاً من السياسة. . . وإن دولة إسرائيل هي

مجرد البداية لما يفعله الله من أجل الشعب اليهودي ومن خلال الشعب اليهودي.. إن من واجب المسيحيين دعم إسرائيل وسياساتها باعتبارها إشارة إلهية لرحمة الله، واستجابة لإرادته، على أنها تشكل إشارة ثورانية بأن الله منشغل جدا في قضايا هذا العالم»^(١).

● وفي سنة ١٢٥٢ هـ سنة ١٨٣٦ م. حاول الأمريكان - بواسطة قنصلهم في القدس «السنور فيلدن» - أن يشتروا قطعة أرض بالقرب من زاوية النبي داود، مستغلين في ذلك أحد رهبانهم - واسمه «جرجيس هوتين» - بحجة أنهم يريدون إقامة مدفن - في القدس - للموتى الأمريكان!..

لكن طلبهم هذا رفض، وحكم قاضي القدس بأن أرضها وقف على أهلها، فلا يجوز تملك الأجانب لأي جزء من أرض هذا الحرم الشريف^(٢).

● وفي سنة ١٨٦٦ م أرسلت البروتستانتية الأمريكية أولى البعثات الاستيطانية إلى أرض فلسطين، يقودها القس الأمريكي «آدم» ومعه ١٥٠ قسيسا أمريكيا.

● وفي العام التالي - سنة ١٨٦٧ م - قامت على أرض فلسطين أولى

(١) محمد السمك [الدين في القرار الأمريكي] ص ٢٦، ٢٧. طبعة بيروت سنة ٢٠٠٣ م.

(٢) د. أسد رستم [الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا] المجلد الثالث والرابع ص ٣٠، ٣١. طبعة الجامعة الأمريكية - بيروت.

المستوطنات الأمريكية ، بمشاركة ٧٠ شخصية دينية ، من المسيحيين
الصهيانية! ...

● وفي سنة ١٨٧٨ م قام القس الأمريكي «وليم بلاكستون»
[١٨٤١ - ١٩٣٥ م] بالتنظير اللاهوتي لهذه «المسيحية - الصهيونية» ،
ولاغتصاب القدس وفلسطين ، وذلك بكتابه [المسيح أنت] . . وهو
الكتاب الذي ترجم إلى أربعين لغة ، والذي أصبح أكثر انتشارا في
القرن التاسع عشر بعد الكتاب المقدس ! .

وفي سنة ١٨٨٧ م أسس هذا القس - في شيكاغو - منظمة «البعثة
العبرية نيابة عن إسرائيل» ، لحث اليهود على الهجرة إلى فلسطين -
وهي المنظمة القائمة حتى الآن ، باسم «الزمالة الأمريكية اليسوعية» ،
العاملة بنشاط ضمن المنظمات «المسيحية الصهيونية» الساعية لهدم
المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي على أنقاضه ! .

● وفي العام التالي لتأسيس هذه المنظمة - سنة ١٨٨٨ م - زار
مؤسسها - «وليم بلاكستون» - فلسطين ، ورفع شعار : «أرض بلا
شعب لشعب بلا أرض» ! . . وذلك قبل عشر سنوات من انعقاد المؤتمر
الصهيوني الأول . . وقبل تأليف «تيودور هرتزل» لكتابه [الدولة
اليهودية] سنة ١٨٩٦ م .

● ثم كتب «وليم بلاكستون» - في سنة ١٨٩١ م - مذكرة جمع
عليها توقيعات ٤١٣ شخصية مسيحية ويهودية كان من بينهم «جون
روكفلر» [١٨٣٩ - ١٩٣٧ م] و«وليم روكفلر» [١٨٤١ - ١٩٢٢ م] .

رفعت إلى الرئيس الأمريكي "بنجامين هاريسون" [١٨٣٣ - ١٩٠١ م] تطالب بعقد مؤتمر دولي من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين . . . ولقد جاء في هذه المذكرة :

«لماذا لا تعاد فلسطين إلى اليهود ثانية؟ فعلى أساس توزيع الله للأمم فإن فلسطين هي وطنهم، إنها ملك لهم، طردوا منه بالقوة. وخلال وجودهم فيه كان وطنًا غزير الثمار، وكان يؤوي الملايين من الإسرائيليين الذين أقاموا فوق نلاله ووديانه المصانع والمزارع. كانوا شعبًا صناعيًا وزراعيًا، كما كانوا تجارًا على درجة كبيرة من الأهمية. كانوا مرتكزًا للدين والحضارة، فلماذا لا تبادر القوى الدولية، بموجب معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ م، التي أعطت بلغاريا للبلغار، وصربيا للصرب، أن تعيد فلسطين إلى اليهود؟»^(١)

وهكذا يتم تزيف التاريخ، ويتم الحديث عن فلسطين كوطن تاريخي لليهود . . . مع تجاهل أن دخولهم إلى أرض كنعان إنما كان غزوًا وإبادة لأهل تلك البلاد . . . وأن وجودهم فيها إنما كان عارضًا . . . ومفتقرًا إلى التواصل التاريخي .

● وفي سنة ١٩١٨ م أعلن الرئيس الأمريكي "ويلسون" [١٨٥٦ - ١٩٢٤ م] التزام أمريكا بتنفيذ وعد بلفور، ثم صادقت أمريكا على هذا الوعد رسميًا سنة ١٩٢٢ م . . . وقرر مجلس النواب الأمريكي

(١) [الدين في القوار الأمريكي] ص ٣٣، ٣٤.

ضرورة «منح اليهود الفرصة التي حرموا منها لإعادة إقامة حياة يهودية وثقافية خاصة في الأرض اليهودية القديمة»^(١).

ونوالى تأسيس المنظمات الأمريكية، الداعية والداعمة لشهود القدس وفلسطين، لإقامة قاعدة الهيمنة الاستعمارية في الشرق الإسلامي.

● ومع تراجع نفوذ الامبراطوريات الاستعمارية القديمة - الانجليزية . . والفرنسية . في الشرق الإسلامي . . وحلول النفوذ الاستعماري الأمريكي محله، أصبحت الرعاية والقيادة للمشروع الصهيوني بيد «المسيحية - الصهيونية» الأمريكية، والحكومات الأمريكية المؤمنة بهذه «الأيديولوجية».

ففى إدارة الرئيس الأمريكى «روزفلت» [١٨٥٨ . ١٩١٩ م] أصبح اليهود - الذين يشكلون أقل من ٣٪ من سكان أمريكا، يشغلون ١٥٪ من المناصب القيادية القابضة على المواقع الحساسة في الإدارة والدولة الأمريكية^(٢).

● وتحولت «المسيحية - الصهيونية» إلى العقيدة التي يؤمن بها العديد من رؤساء أمريكا، والتي تحرك وتحدد اتجاهات قرارات دولتهم تجاه الاغتصاب الصهيوني للقدس وفلسطين.

- فالرئيس «ليندون جونسون» [١٩٠٨ - ١٩٧٣] يخطب في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٨ م أمام إحدى المنظمات اليهودية فيقول:

(١) المرجع السابق . ص ٨١.

"إن لا أكثركم، إن لم يكن لجميعكم، روابط عميقة مع أرض ومع شعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إلى، ذلك لأن إيماني المسيحي انطلق من إيمانكم. إن القصص التوراتية مجبوكة مع ذكريات طفولتي. كما أن الكفاح الشجاع الذي قام به اليهود المعاصرون من أجل التحرر من الإبادة منعّس في نفوسنا!".

ونحن نلاحظ أنه يقول هذا، ويتحدث عن «الكفاح الشجاع لليهود المعاصرين في سبيل التحرر»، بعد ثلاثة أشهر من عدوان إسرائيل في 5 يونيو سنة ١٩٦٧ م. ، والذي احتلت فيه - بدعم أمريكي سخى - كل القدس وبقية فلسطين. وكل سيناء المصرية، وأرض الجولان السورية!!.

- والرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» [١٩٢٤ - م.] الذي يعتنق عقيدة «الولادة الثانية» Born again يعترف بأن مشاعره المؤيدة للصهيونية كانت الخافز الذي صاغ سياسته في الشرق الأوسط. ، ويقول، في خطاب ألقاه في الأول من مايو سنة ١٩٧٨ م:

"إن العودة إلى أرض التوراة التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين. وإن إقامة الأمة الإسرائيلية في أرضها: هو تحقيق لنبوءة توراتية، وهي تشكل جوهر هذه النبوءة!!".

وهو هنا يتحدث عن «أرض التوراة» - من النيل إلى الفرات - في ذات الوقت الذي كان يفرد فيه مفاوضات «سلام كامب ديفيد» . والتي لم يتجاوز إطارها، بالنسبة للشعب الفلسطيني، حدود «الحكم الذاتي» كجالية تعيش على أرض إسرائيل التوراتية!! . وهو نفس

الإطار الذي حدده وعد بالقصور: «الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة الآن بفلسطين»!!.. فأساطير التوراة عن الوعد الإلهي بأرض ما بين النيل والنهرات هي مرجعية «المسيحية - الصهيونية»، سواء أكان رموزها في إنجلترا أم في أمريكا!!..

- أما الرئيس «رونالد ريغان» [١٩١١ - ٢٠٠٤ م] فلقد رتبته أمه «نيل Nell» على العقيدة «المسيحية - الصهيونية» فأصبح يعيش هاجس معركة «هرمجيدون» - [نسبة إلى سهل مجيدو، بين القدس ويافا] - والتي سيعود عندها المسيح ليحكم العالم ألف سنة سعيدة، بعد حشد اليهود في فلسطين، وإقامة «الهيكل» على أنقاض المسجد الأقصى وإيادة المسلمين ولقد قال «ريغان» هذا - في سنة ١٩٨٤ م:

«إنني أعود إلى النبوءات القديمة المذكورة في العهد القديم، وإلى المؤشرات حول هرمجيدون، فأتساءل بيني وبين نفسي: ما إذا كنا الجبل الذي سيرى تحقق ذلك؟ لا أعرف ما إذا كنت لاحظت... يحدث مراسل «واشنطن بوست» [معنى أيًا من هذه النبوءات مؤخرًا؟. ولكن، صدقني إنها - أي النبوءات - تصف بالتأكيد ما نمر به الآن!..^(١)»

ولذلك، لم يكن غريباً أن يحتل غلاة الصهاينة المناصب الخطيرة والحساسية والمؤثرة في «أمن العالم» في إدارة الرئيس «ريغان»..

(١) المرجع السابق - ص ٤١، ٤٢.

فوزير العدل هو "آدمس" . . ووزير الدفاع هو "كاسبر وينبرجر" . .
ووزير الداخلية هو "جيمس وات" . . لقد كانوا - مع الكثيرين من
القباضين على المناصب الحساسة والمؤثرة من عملاء "المسيحيين -
الصهيانية" في أمريكا . .

● وفي عقود هؤلاء الرؤساء الأمريكيين ، تعاظم نفوذ قساوسة
"المسيحية - الصهيونية" ، إلى درجة غير مسبوقة ، على الثقافة والفكر
والإعلام في أمريكا ، وانعكس ذلك بدوره على السياسة الأمريكية
تجاه الاغتصاب الصهيوني للقدس وفلسطين .

- فالصهيونية - المسيحية أصبحت تملك وتشرف - في أمريكا - بشكل
مباشر - على ١٠٠ محطة تلفزيونية كبرى . . وعلى ١٠٠٠ محطة
إذاعية . . ويعمل في إطار التبشير بكنائسها ٨٠٠٠٠ قسيس . . وهي
دائمة التوسع والانتشار ، حتى أنه تم إنشاء ٢٥٠ مؤسسة وجمعية
دينية مؤيدة لإسرائيل - في أمريكا - إبان عقد الثمانينيات من القرن
العشرين وحده! ^(١) .

وتتراوح التقديرات لعدد أتباع هذه الكنائس "المسيحية -
الصهيونية" ما بين الخمسين مليوناً والمائة مليون من الأمريكان! .

(١) جريس هانس [يد الله] ص ١٥ ، ترجمة: محمد السماك . طبعة القاهرة سنة
٢٠٠٠ م . وانظر للمؤلفة أيضاً [النيرة والسياسة] ترجمة: محمد السماك . طبعة
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا سنة ١٩٨٩ م . وانظر كذلك: د. يوسف
الحسن [البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني] دراسة
في الحركة المسيحية الأمريكية الأمريكية . طبعة مركز دراسات الوحدة العربية -
بيروت سنة ١٩٩٠ م .

ويكفي في الإشارة إلى النفوذ المتعاظم لنفساوسة هذه الحركة ، أن نعرف أن واحدا منهم - وهو «بات روبرتسون» - قد أنشأ سنة ١٩٦٠ م محطة التلفزة C. B. N بموازنة سنوية تبلغ ١٩٥ مليوناً من الدولارات . . وهي تعد «أكبر أبرشية في العالم» إذ تقدم برامجها بإحدى وسبعين لغة ، ويتوزع المشتركون فيها على ١٨٠ دولة . . . ويتدر عدد مشاهدي البرنامج الأسبوعي لأصحابها - النفس بات روبرتسون - برنامج «نادي السبعمائة» بحوالي سبعة ملايين مشاهد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها! . . .

كما أنشأ «بات روبرتسون» هذا - سنة ١٩٨٩ م «منظمة التحالف المسيحي» التي تضم ١,٩ مليون عضو ، لمساعدة مرشحي الرئاسة الأمريكية ، وأعضاء الكونغرس . . . ونفوذ هذه المنظمة نفوذ كبير على هذه المؤسسات الحاكمة للقرار الأمريكي . . .

ولقد كانت هذه المنظمات والمؤسسات وراء ترشيح ونجاح الرئيس الأمريكي «بوش - الصغير» في انتخابات سنة ٢٠٠٠ م .

والنفس «روبرتسون» هذا هو الذي «ينتظر اللحظة التي ستتولى فيها محطته «التلفازية» نقل وقائع نزول المسيح فوق جبل الزيتون - بالقدس»!! . . .

وهو - لذلك - كان يجلس إلى جوار الجنرال «موشى ديان [١٩٨١ - ١٩١٥] - وزير الدفاع الإسرائيلي بدبايته لحظة دخوله إلى القدس العربية في يونيو سنة ١٩٦٧ م! . . . كما كان زميله «النفس

جيمري فولويل^(١)، إلى جوار الجنرال «أرييل شارون» - وزير الدفاع الإسرائيلي في دبابته عند احتلال بيروت سنة ١٩٨٢^(٢)... فتحن أمام قساوسة مقاتلين بالأساطير، يدعمون الجنرالات المقاتلين بالسلاح لتحقيق هذه الأساطير!!.

● ولقد ذكرت إحدى الإحصائيات أن عدد المحطات الدينية التي تملكها كنائس «المسيحية - الصهيونية» في أمريكا «العنصرية»! - قد بلغ ١٤٠٠ محطة، يعمل فيها ٨٠.٠٠٠ قسيس إنجيلي، يؤمنون ويشرون بأن إسرائيل تمثل تجلياً إلهياً، وتجسيداُ للنعمة الله من أجل خلاص البشر!... فالخلاص الحقيقي والكامل - في هذه «الأبيولوجية» سيأتي بعودة المسيح - العودة الألفية المنتظرة - وهي متوقفة على اكتمال المشروع الصهيوني لاغتصاب القدس وفلسطين!...

كما يؤمن هؤلاء «المسيحيون - الصهاينة» بأن كل القوانين الدولية - لأنها بشرية ووضعية - لا يجوز تطبيق أي منها على هذا «الكيان الإلهي» - إسرائيل - لأن إسرائيل كيان مختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم، من حيث إن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية، وليس استجابة لحاجة إنسانية... فما يطبق على إسرائيل هو «الإرادة الإلهية» الواردة في الكتب المقدسة وأبرزها وعد الله لشعبه المختار... وليس قرارات المنظمات الدولية!...

(١) [الدين في القوار الأمريكية] ص ٤٥، ٤٦، ٥٠.

وبهذا يتضح - أيضا - البعد الديني «للقبلة الأمريكية» ، الذي كاد أن يكون وقفا . في مجلس الأمن - على حماية الكيان الصهيوني من قرارات الشرعية الدولية ، وجعل هذا الكيان «معصوما» من الخضوع لإرادة المجتمع الدولي ! . .

● ومع تعاظم هذا النفوذ «للمسيحية - الصهيونية» على الإدارة الأمريكية ، مرت هذه الإدارة من كل القوانين والقرارات التي صدرت عن المنظمات الدولية بخصوص الصراع على القدس وفلسطين . . فقرر الكونجرس الأمريكي - في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٩٥ م - اعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل ، لأنها - كما قال «الوطن الروحي لليهودية» ! . . مع أن اليهودية - وهي شريعة موسى ، عليه السلام - ليس لها أية علاقة بالقدس وفلسطين ! . .

وشرعت الحكومة الأمريكية - بناء على هذا القرار - في بناء سفارتها بالقدس ، على أرض هي في الأصل مملوكة للوقف الخيري الإسلامي ! .

ثم جدد الكونجرس هذا القرار في سبتمبر سنة ٢٠٠٢ م - في ظل إدارة الرئيس «بوش - الصغير» - الذي وقع على هذا القرار ، علغيا بذلك كل القرارات التي أصدرتها المنظمات الدولية . . بل وحتى المواقف الأمريكية ! . . وضاربا عرض الحائط بكل القوانين الدولية المتعلقة بوضع الأراضي المحتلة ! . .



● ولأن الإسلام والمسلمين هم الخصوم - والضحايا - لمخططات «المسيحية - الصهيونية» لاغتصاب القدس وفلسطين... بل والضحايا الذين تتحدث هذه «العقيدة - الأسطورية» عن إبادة لهم في معركة «هرمجييدون»، التي ستفتح الباب لعودة المسيح... لذلك أصبحت حملة «المسيحية - الصهيونية» على الإسلام - وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م في أمريكا، تجلها من تجليات قساوسة هذه «المسيحية - الصهيونية» وساستها ومؤسساتها الفكرية والإعلامية... وهي الحملة التي تحارب الإسلام، لأنه - برأيها - الخطر على أمريكا وإسرائيل!...

- فالقس «بات روبرتسون» هو القاتل :

«إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف... وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل»^(١)...

- والقس «فرانكل جراهام» - وهو الأب الروحي للرئيس «بوش - الصغير»... والذي ترأس حفل تنصيب «بوش» رئيسا... والذي يقول عنه بوش: «إنه هو الذي غرس في قلبي بذور الإيمان، فتوقفت عن تعاطي المسكرات، واعتنقت المسيح»... فرانكل جراهام هذا هو القاتل عن الإسلام:

(١) صحيفة [الشرف الأوسط] - لندن - في ٣-٣-٢٠٠٢ م وصحيفة [الحياة] - لندن في ٢٦-٢-٢٠٠٢ م.

«إن الإسلام دين شيطاني وشرير، وهو دين الإرهاب». وإن الفرق بين الإسلام والمسيحية هو كالفرق بين الظلام والنور. وإن المسلمين الأمريكيين ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة الأمريكية، وهم - أيا كانت أصولهم - أعداء للديمقراطية والليبرالية ولطريقة الحياة الأمريكية^(١).

- والقس «جيرى فاين» هو الذي وصف رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي، الذي عقد في «فلوريدا» سنة ٢٠٠٢ م. «بأنه الشيطان نفسه» وقال عن الإسلام: «إنه دين مزور»^(٢).

- والقس «هول لندسي» هو القائل:

«إن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل، ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية، التي تشكل أساس الحضارة الغربية. وإنهم كالتشيوعيين، في أعماق فلسفتهم نوق شديد لدفتنا جميعا»^(٣).

- ووزير العدل الأمريكي «جون أشكر وقت» - وهو من غلاة «المسيحيين - الصهاينة» - ووالده من قساوسة هذه الحركة - هو القائل:

(١) [الدين في القرار الأمريكي] ص ٥٩، ٦٠، ٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠، ٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٠.

«إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله!»^(١)..

فهو . مع أنه وزير «اللعدل» . يسب إله المسلمين ! .

. أما الجنرال الأمريكي «وليم ج . بزيكن» . مساعد وزير الدفاع . فهو الذى خطب فى الكنائس المسيحية الصهيونية . وهو مرتد لزيه العسكرى . فقال :

«إن إلهنا أكبر من إله المسلمين.. إن إلهنا حقيقى، وإله المسلمين صنم.. وأنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية لأنها أمة مسيحية . يهودية، وإن حربنا معهم هى حرب على الشيطان»^(٢)!..

. وحتى الفكر الاستراتيجى . فكر صناعة القرار السياسى . انخرط هو الآخر فى هذه الحملة الصليبية الساعية إلى مسح الإسلام . وجعله «إسلاما أمريكانيا» يحقق مقاصد «المسيحية» . الصهيونية «فى اغتصاب القدس وفلسطين والهيمنة الأمريكية على مقدرات عالم الإسلام» .

وكنموذج . مجرد نموذج . على هذا الفكر الاستراتيجى . . كتب «فوكوياما» يقول :

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] لندن ٢٠٢١ . ٢٠٠٢ .

(٢) صحيفة [الحياة] - لندن فى ١٧ ، ١٠ ، ٢٠٠٣ م . وصحيفة [الأهرام] - القاهرة . فى ١٨ . ١٠ . ٢٠٠٣ م .

التريد حرباً داخل الإسلام.. حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية.. والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة.. فالإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة الغربية.. وهو يرفض، لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: العلمانية نفسها..

وإن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، وليس سببه السياسة الأمريكية في فلسطين والعراق.. وإنما هو صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية.. إنه تحدّي أيديولوجي أكثر أساسية في بعض جوانبه من الخطر الشيوعي..

وإن التطور الأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، ليصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، وخاصة المبدأ الأساسي: الدولة العلمانية..^(١)



● وإذا كان كل هذا، وغيره كثير وكثير جداً، قد تم في ظل الحملة الصليبية الأمريكية على الإسلام والتي أعلن عنها - ولا نقول بدأها - «جورج بوش - الصغير» في ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م.. فإن قساوسة «المسيحية - الصهيونية» قد رأوا في هذه الحرب التي قادتها أمريكا

(١) [نيوزويك]. الأمريكية. العدد السنوي - ديسمبر سنة ٢٠٠١ م. فبراير سنة

على العراق - في مارس سنة ٢٠٠٣ م . تحقيقا لأمن إسرائيل ومن ثم شرطا من شروط تحقيق النبوءات الدينية التوراتية لعودة المسيح - عليه السلام . . بل لقد رأوا في هذه الحرب تحقيقا لإحدى نبوءات التوراة . وفي ذلك يقول القس «دافيد بريكنر» :

«إننا نعترف أن تدمير بابل - الذي ورد في الإصحاح ١٨ يعني تدمير العراق»!..

كما يقول القس «تشارلز داير» أستاذ اللاهوت في جامعة «دالاس» :
«إن إصحاح إشعيا ١٣ يشير إلى قيام صدام حسين، وإلى غزوه للكويت، وذلك لإقامة قاعدة للهجوم على إسرائيل . فصدام هو خليفة «نبوخذ نصر» [٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م] (الذي هزم الإسرائيليين وسباهم إلى بابل ودمر الهيكل)، وذلك بسبب عدااء صدام لإسرائيل، وبسبب نواياه لإعادة بناء بابل»^(١).

إلى هذا الحد يبلغ الخيال في استخدام الأساطير لدعم الكيان الصهيوني، المغتصب للقدس وفلسطين والقائم لتحقيق الهيمنة الامبريالية الغربية، وتحقيق هذه الأساطير «المسيحية - الصهيونية» معا!..

ولعل الحديث عن «بابل» . . و«النبي البابلي لليهود القدماء» . . وعن «نبوخذ نصر» يفسر لنا إسراع الصهيانة، الذين دخلوا العراق في

(١) [الدين في القرار الأمريكي] ص ٥٢ .

ركاب الغزو الأمريكي - في مارس سنة ٢٠٠٣ م . إلى المتحف العراقي - ببغداد لسرقة كل الآثار والشواهد التي تحكي تاريخ هذا السنين البابلي القديم !.

● ولقد ذهب نحو ثمانمائة من قساوسة «المسيحية - الصهيونية» تحت لواء مؤسسة «الجيب السامري» ، التي يرأسها القس «فرانكلين جراهام» ذهبوا في ركاب القوات الغازية للعراق - في مارس سنة ٢٠٠٣ م لنشر المسيحية في العراق ، ولتقديم «المساعدات» التبشيرية باسم «يسوع المسيح»^(١) ..

● أما رئيسهم - الرئيس «بوش - الصغير» فإنه قد رأى في حربه على العراق «حرباً عادلة» وفق المفهوم المسيحي ، كما شرحه القديس «أوغسطين» [٣٥٤ - ٤٣٠ م] في القرن الرابع الميلادي ، وكما فصله كل من توما الأكويني [١٢٢٥ - ١٢٧٤ م] و«مارتن لوتر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦ م] وآخرون ..^(٢)

ولقد اعتاد «بوش - الصغير» - أن يبدأ عمله اليومي - في البيت الأبيض - بقراءة صفحات من كتاب [أعظم ما يمكنني لأعظم العظماء] myutmostforhishighest لنفس الاسكتلندي المبشر «أوزوالد تسميرز» - وهو عظام إنجيلية قصيرة ، مات مؤلفه سنة

(١) [نيوزويك] - الأمريكية في ١١ - ٣ - ٢٠٠٣ م . وابو يورك باييز في ٥ ، ٦ ، ٤ .

٢٠٠٣ م . مقال الصحفي الأمريكي «جورج سيرا»

(٢) [نيوزويك] - الأمريكية . في ١١ - ٣ - ٢٠٠٣ .

١٩١٧ م وهو يحرم ض الجنود الأستراليين والنيوزيلنديين المحتشدين - يومئذ - لغزو فلسطين ، وانتزاع مدينة القدس من أيدي المسلمين ! .

مثّل هذا «الورد» يبدأ «بوش - الصغير» يوم عمله في حكم القوة العظمى ، التي تريد الهيمنة على العالم وجعل القرن الواحد والعشرين قرناً أمريكياً ! .

● وإذا كانت «المسيحية - الصهيونية» الانجليزية قد بدأت أول تطبيقات مخطط اغتصاب القدس وفلسطين بـ «وعد بلفور» - سنة ١٩١٧ م . فإن «المسيحية - الصهيونية» الأمريكية قد بلغت الذروة على هذا الطريق وذلك «بوعد بوش - الصغير «نشارون» في أبريل سنة ٢٠٠٤ م . . ذلك «الوعد» الذي كتبته بوش في «رسائل الضمانات» التي تضمن لإسرائيل كل فلسطين . . والتي تحرم ، اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيش منهم في المنافي أكثر من ستة ملايين ! - تحرمهم من حق العودة ، الذي قرره الشرعية الدولية . . في قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ . . فمحتى «المحقوق المدنية والدينية» التي ضمنها «وعد بلفور» لعرب فلسطين . . جاء «وعد بوش» ليحرم منها اللاجئين الفلسطينيين ، الذين يزيد عددهم على عدد «المستوطنين الصهاينة» الذين يستعمرون أرض فلسطين ! . .

وإذا كان «وعد بلفور» قد صدر في مناخ دولي لم تكن فيه «شرعية دولية» . . فإن «وعد بوش» قد ضرب عرض الحائط بكل قرارات

الشرعية الدولية والمنظمات الدولية . . بل وقرارات ومواقف
وتعهدات أمريكا ذاتها في هذا المقام! . .

بقى أن ننبه على حقيقة أن هذه «الأيديولوجية الدينية» المسيحية
الصهيونية التي ترى في اغتصاب اليهود للقدس وفلسطين . . وفي
إقامة الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى . . وفي قيام
معركة «همجيدون» التي سببها المسلمون . . ومعهم اليهود غير
المؤمنين بالمسيح . . وفي عودة المسيح ليحكم العالم ألف سنة
سعيدة . .

بقى أن ننبه على حقيقة أن هذه العقيدة «المسيحية - الصهيونية» لا
تستلزم . . بالضرورة حب أصحابها لليهود . . بل ربما كان العكس هو
الحقيقة في الكثير من الأحيان! . .

إنهم يرون في اليهود مجرد «وسيلة» لتحقيق هذه الأساطير التي
فسروا بها «رؤيا يوحنا» . . كما أن المقاصد الاستعمارية لدولهم ترى
في هؤلاء «اليهود» . . وفي استعمارهم الاستيطاني لفلسطين . . مجرد
«كيانات وظيفية» عميلة . . تحقق للامبريالية الغربية قاعدة استعمارية
في الشرق الإسلامي ، هي امتداد عضوي للحضارة الغربية ، «وقفاز»
للقبضة الغربية الاستعمارية . . تقسم وحدة أرض الوطن العربي ،
وتحول دون نهوض عالم الإسلام . .

فتحن - هنا - أمام «شراكة»، قائمة على تحقيق «المصالح» و«الأساطير» معا . وفيها تغلف «الأساطير» «المصالح» وتعجل «المصالح» تحقيق «الأساطير» ! . . . وذلك دون أن يكون «الحب» دخل في الجمع بين هؤلاء الفرقاء . . . وإن كان «بعضهم» جميعا للإسلام وأمتة وحضارته ، قد لعب ويلعب دورا كبيرا في هذه «الشراكة» وهذا «الصراع» .

● أما اليهود . . . فإنهم وإن نظروا - عتقيا ولاهوتيا - بالسخرية والاستخفاف إلى هذه الأساطير المسيحية ، فإنهم قد رأوا فيها «وسيلة» لحشد التأييد الغربي لمشروعهم الاستعماري الاستيطاني على أرض فلسطين ، وإقامة الوطن التوراتي ، الذي تقول أساطيرهم إنه الوعد الإلهي لهم ، كورثة لإبراهيم عليه السلام .

وإذا كانت الصهيونية - كحركة قومية - علمانية - لا تؤمن بالأساطير اليهودية حول هذا الوعد الإلهي وإنما تستخدمه وتستخدم أساطيره - في التراث اليهودي - «وسيلة» لحشد اليهود حول مشروعها الاستعماري في فلسطين . . . فإنها - مع عدم إيمانها بأساطير المسيحية البروتستانتية حول عودة المسيح - تستخدم هذه الأساطير «وسيلة» لحشد الدعم الغربي لمشروعها الاستعماري . . . إنها تصنع ذلك ، وكأنها سعيدة بهذا «العبط - الأسطوري» ، الذي سخر لها طاقات وإمكانات القوى الاستعمارية الغربية ، فأصبحت مقبولة ومرغوبة ومعذلة . في هذا الصراع ضد الإسلام وأمتة وعالمه - بعد قرون من الاضطهاد والاحتقار والإذلال الغربي ضد اليهود .

فكل من الطرفين يستخدم الآخر ، في هذه الشراكة «الامبريالية»
«اللاهوتية» ، وسيلة لتحقيق أساطيره اللاهوتية . ومصالحه
الاستعمارية . . التي يتم تنفيذها وتحقيقها لحسابهما معاً ، وعلى
حساب الإسلام والمسلمين! . .

والنصهاينة لا يخفون سعادتهم بهذه «الأحلام الأسطورية
المسيحية» ، التي ألهمت خيال البروتستانتية الغربية فجمعت بينها وبين
اليهود . في هذه «الشراكة» . بعد قرون العداء الشديد . . جمعت بينهم
ضد المسلمين ، الذين أحسنوا إلى الفريقين . . ولم يضغطوا أياً منهما
في أية حقبة من حقبة التاريخ! . .

ولقد ألقى الصهيوني «بنيامين نتنياهو» - عندما كان سفيراً للكيان
الصهيوني في الأمم المتحدة - خطاباً في الجمعية العامة - في فبراير سنة
١٩٨٥ م - أشار فيه إلى سعادة النصهاينة بثمرات هذه «الأساطير
المسيحية» فقال :

«إن كتابات المسيحيين الصهيونيين، من الإنجليز والأمريكان، أثرت
بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين، مثل «لويد جورج» [١٨٦٣ -
١٩٤٥ م] و«آرثر بلفور» [١٨٤٨ - ١٩٣٠ م] و«ودرو ويلسون» [١٨٥٦ -
١٩٢٤ م] في مطلع هذا القرن.

إن حلم اللقاء العظيم - [عودة المسيح] أضواء شعلة خيال هؤلاء
الرجال، الذين لعبوا دوراً رئيسياً في إرساء القواعد السياسية والدولية
لإحياء الدولة اليهودية. لقد كان هناك شوق قديم في نقاليدنا اليهودية

للمعودة إلى أرض إسرائيل. وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين»^(١).

تلك إشارات - مجرد إشارات - إلى سلسلة من «الحقائق» التي ترتبت على «الأساطير». والتي حكمت تاريخ هذا الصراع التاريخي على القدس وفلسطين. عبر ما يزيد على خمسة قرون.. منذ إسقاط الصليبية الكاثوليكية لغرناطة [٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م].. وحتى الحملة الصليبية «لبوش الصغير» التي نعالج ونواجه وقائعها هذه الأيام..

وفي مواجهة هذا الصراع الذي فرضه الغرب علينا. وإزاء هذا القتال الذي كتبه الغزاة على أمتنا.. لم يعد هناك أمامنا من خيار إلا الجهاد - الجهاد الفكري والعملي - ضد هذه الأساطير.. وضد التمرات الإمبريالية المرة التي جسدتها على أرض القدس وفلسطين.

وصدق الله العظيم ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: «لا تتمنوا لقاء العدو. واسأئوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا. وأكثروا ذكر الله». رواه الدارمي.

(١) [الدين في القرار الأمريكي] ص ٧٨ و[النبيوة والسياسة] ص ١٤٠

على الساحة الإسلامية

وإذا كان هذا المشهد الغربي - مشهد السعي الخثيث - فكربا . . ودينيا وعمليا - لإعادة اختطاف القدس وفلسطين - ومن ثم الشرق الإسلامي - من الأمة الإسلامية . .

إذا كان هذا المشهد - الذي أشرنا إلى أبرز معالمه . . على امتداد هذه العقود المتطاولة - حافلا بالكثير من مظاهر الغرابة والفجاجة والشذوذ . .

● مطامع «إمبريالية» سافرة، تبحث لها عن أساطير دينية لتستر عوراتها . . ولتعيء العامة في سبيل التضحية من أجل هذه المطامع! . .

● وأساطير و«رؤى منامية» تتحول إلى عقائد دينية، تحرك تيارات فكرية وكنائس ومؤسسات وقيادات وحكومات . . في مجتمعات تدعى «العقلانية» . . والتنوير! . . تحركها هذه الأساطير للعمل الاستعماري ضد الشرق الإسلامي وإعادة اغتصاب القدس وفلسطين . .

● ويهود أصولهم خزرية ، هاجروا من اضطهاد روسيا القيصرية إلى وسط أوروبا وشرقها . لا يتكلمون العبرية ، وليست لهم أية علاقة بالسامية أو العبرانيين القدماء . وبدلاً من أن يبحثوا "المشكلاتهم" عن "حلول" في أوطانهم ، إذا بهم يعتقدون "صنفقة شراكة" مع المد "الأمبريالي" الغربي النطامع في استعمار الشرق الإسلامي ، فبتحول هؤلاء اليهود الخزر - مع يهود غربي أوروبا إلى شريك أصغر في حلف غير مقدس وعملية لا أخلاقية ، يعضون فيها اليد الإسلامية ، التي كانت هي اليد الوحيدة التي لم تتدنس باضطهاد اليهود عبر التاريخ الطويل . . في الوقت الذي يشاركون ويساعدون فيه الغرب الأمبريالي ، الذي مارست حضارته ودوله وكنائسه كل ألوان الاضطهاد والاحتقار والإذلال ضد جميع اليهود ! . .

إذا كان هذا المشهد الغربي - الذي أشرنا إلى أبرز معالمه - حافلاً بكل ألوان هذه الغرائب والعجائب التي بلغت حد الشذوذ . فإن المشهد الشرقي كانت له - هو الآخر - الكثير من ألوان الغرابة والشذوذ . .

● فاليهود الشرقيون ، الذين يدينون بحريتهم وراثتهم وازدهارهم الديني والثقافي ، بل وبوجودهم لسماحة الإسلام . . قد نسوا أو تناسوا - كل الأيادي البيضاء للحضارة الإسلامية عليهم - عبر تاريخ هذه الحضارة الطويل - فوجدنا تيارهم الأغلب والأعم ينخرط في

خدمة هذا المخطط الامبريالي الغربي لاحتلال الشرق ، واغتصاب القدس وفلسطين . . .

- لقد نسوا أن الدولة الإسلامية الأولى - دولة المدينة . . علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد جعلتهم جزءا من الأمة الواحدة ، التي كونت رعية هذه الدولة فنص دستورها - الصحيفة - على أن «يهود أمة مع المؤمنين» لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . . وأن لهم النصر والأسوة مع البر المحض والنصح والنصيحة ، دون الإثم»^(١) .

ونسى هؤلاء اليهود الشرقيون أنهم - عند الفتح الإسلامي للقدس وفلسطين سنة ١٥ هـ سنة ٦٣٦ م - كانوا مطرودين ومنفيين من تلك البلاد ، هدمت معابدهم ، وتعرضوا للإذلال والقتل والسبي على يد الرومان - في عهد وثنية الرومان وفي عهد نصرانيتهم على حد سواء! . . حتى لقد طلب نصارى القدس من عمر بن الخطاب [٤٠ ق . هـ ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤ م] يوم فتحها «ألا يسكن فيها أحد من اليهود أو النصارى»! . . لكن الإسلام السمح ، الذي يؤمن أهله بكل الشرائع والكتب والنبوات والرسالات ، والذي يقدس كل المقدسات ، ويجعل حمايتها مقصدا من مقاصد الجهاد الإسلامي ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ط ١٧ - ٢١ . جمعها وحققها: د. محمد حميد الله الخيدر لادى - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» (الحج : ٤٠) . هذا الإسلام السمح هو الذي أعاد اليهود إلى الأراضي المقدسة ، فعاشوا فيها مع كل أصحاب الديانات والمقدسات «لهم مالمسلمين وعليهم ما على المسلمين حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم» - كما نص على ذلك عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

- ونسى اليهود الشرقيون أن آباءهم وأجدادهم قد بلغ اندماجهم في الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية إلى الحد الذي قتلوا فيه وذبحوا وأحرقوا مع المسلمين من قبل الصليبيين الذين احتلوا القدس . في الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٩ م . .

- ونسوا - كذلك - أن أجدادهم قد أصابهم ما أصاب المسلمين من القتل ومن اضطهاد محاكم التفتيش من قبل الصليبية الكاثوليكية ، عند اقتلاع الوجود الإسلامي من الأندلس سنة ٨٩٧ هـ سنة ١٤٩٢ م . . وأنهم ، في كل هذه المحن والأزمات والاضطهادات التي أنزلتها بهم الصليبية الغربية قد وجدوا الحماية والطمأنينة والأمان فقط في وطن الإسلام وحضارته . .

نسى اليهود الشرقيون كل ذلك . . وما أن لاحت علامات الشراكة «الصليبية - الصهيونية» ضد الشرق الإسلامي ، حتى أسرعوا ليكونوا جزءاً من هذه «الصفقة» التي يعضون فيها اليد الوحيدة التي أحسنت إليهم عبر تاريخهم الطويل . . وليكونوا في خدمة «الصليبية الغربية»

التي مارست ضدهم كل ألوان الاضطهاد والاحتقار والإذلال عبر ذلك التاريخ الطويل ! . .

● وفي دراسات أكاديمية جادة عن الصحافة اليهودية ، وعن مواقف الطوائف اليهودية الشرقية واختياراتها بين الولاء للأوطان الشرقية التي تعيش في ظلالها وبين الانتماء للصهيونية العاملة في خدمة المشروع الإمبريالي الغربي ، نطالع حقائق مذهلة . . ونقرأ ، علي سبيل المثال :

«إن معظم اليهود الذين وجدوا في مصر كل رعاية، قد أبدوا الصهيونية، وقاموا بدعمها بشتى الوسائل.. وذهبوا إلى حد إنشاء الجمعيات الصهيونية التي كانت تتولى جمع التبرعات وإعداد الشبان اليهود تمهيدا لتهجيرهم إلى فلسطين، وإصدار الصحف الصهيونية بلغات متعددة - بما فيها اللغة العربية - لحشد يهود مصر وراء الهدف الصهيوني الأسمى الذي يتمثل في إقامة دولة عبرية على أرض فلسطين»^(١).

● ولم يكن يهود مصر فقط هم الذين سار عموماً إلى هذه الخيانة الوطنية والحضارية . . فيهود الجزائر قد اشتركوا بوفد يمثلهم في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول، الذي انعقد في بال - بسويسرا - سنة ١٨٩٧ م^(٢).

(١) سهام نصار [اليهود المصريون بين المنصرية والصهيونية] ص ٨ - طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

● ويهود المغرب «قد أسسوا أول جمعية صهيونية سنة ١٩٠١ م، وشاركوا في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس، في بازل - بسويسرا - في ديسمبر سنة ١٩٠١ م - بوفد يمثلهم».

وأصدروا - في الجزائر والمغرب - العديد من الصحف الصهيونية «التي اهتمت بإيجاد رابطة بين الصهيونيين والعناصر الموالية للصهيونية» في تلك البلاد^(١).

● وفي ليبيا «أنشأت الطائفة اليهودية مدرسة عبرية عسكرية. خلال الحرب العالمية الثانية لتجنيد بعض شبابها حتى ينضموا إلى اللواء اليهودي الذي تشكل خلال هذه الحرب»^(٢). وهو اللواء الذي أصبح القوة الصهيونية الضاربة في حرب اغتصاب فلسطين سنة ١٩٤٨ م.

● وفي العراق «بدأ النشاط الصهيوني سنة ١٩١٩ م حينما أسس «أهارون ساسون» فرعا للمنظمة الصهيونية. وفي سنة ١٩٢٣ م اشترك يهود العراق في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث عشر بوفد يمثلهم»^(٣).

● وفي الوقت الذي كانت المظاهرات والإضرابات والاعتصامات والاضطرابات تعم فيه أرض فلسطين، سنة ١٩٣٥ م - ضد الصهيونية والاسيطان اليهودي، أنشأ اليهود المصريون، في مصر «وكالات لبيع أرض فلسطين لليهود»!.. وأخذت

(١) المرجع السابق، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

الصحف الصهيونية التي يصدرونها - بمصر - في نشر الإعلانات كي يشتري اليهود الأرض العربية في فلسطين . . . ولقد نشرت إحدى هذه الصحف - [الشمس] في العدد ١٨ بتاريخ ١١ - ١ - ١٩٣٥ - هذا الإعلان :

الإخواني الإسرائيليين

إن فلسطين تناديكم بأعلى صوتها طالبة منكم أنتم أبناءها - [كذا] - الأبرار، أن تشتروا كل واحد منكم قطعة أرض بالنقد أو بالتقسيط، وذلك بواسطة البنك على يد الوكيل الوحيد بالقطر المصري، مع التسهيلات في الدفع. وفي زيارة واحدة في منزله تشهدوا - [كذا] - بصديق قولنا وأمانتنا - فيها أذهبوا إلى شارع عبد العزيز رقم ١١ شقة رقم ١٨ بالدور الرابع عجلوا ولا تتأخروا، إذ الأراضي يزيد ثمنها من يوم إلى يوم، والمسألة فرصة عظيمة..

الوكيل الوحيد

إبراهيم يعقوب سيريل

والمقابلة معه من الساعة $\frac{1}{4}$ إلى الساعة $\frac{1}{4}$ ٣ بعد الظهر من كل يوم^(١).

فيهود مصر - الصهاينة - هم - في هذا الإعلان - أبناء فلسطين

(١) انظر صورة الإعلان في د. عواطف عبدالرحمن الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٥٤ م. دراسة تحليلية ص ١٦٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م.

البررة"!!! . . . وأرض فلسطين تناديهم لشرائها من أصحابها العرب المسلمين . . .

هذا عن المعلم الأول من معالم الشذوذ في ساحة الشرق الإسلامي ، إبان الزحف «الصلبي الصهيوني» على القدس وفلسطين . . . معلم خيانة أغلب اليهود الشرقيين . . . وعضهم ليلد الوحيدة التي أحسنت إليهم طوال التاريخ! . . .



● أما المعلم الثاني من معالم هذا الشذوذ . . . فهو الغفلة الفكرية والثقافية التي سادت قطاعات كثيرة وكبيرة من مثقفينا إزاء المشروع «الصلبي - الصهيوني» لاغتصاب القدس وفلسطين . . . فرغم عشرات السنين التي شهدت النشاطات الغربية المحمومة . . . والمعلنة . . . وجدنا صمما شبه مطبق إزاء مخططات هذا المشروع «الصلبي - الصهيوني» ومخاطره . . .

والأشد غرابة في هذا المشهد ، هو أن هذا الصمت المطبق إنما ساد أكثر ما ساد في أوساط «المثقفين الليبراليين» الأكثر اطلاعا على ما يجري في الدوائر الفكرية والإعلامية والسياسية الغربية ، والأعلم بلغات البلاد التي تشهد هذا النشاط المحموم لاغتصاب القدس وفلسطين . . . حتى لتقول إحدى الدراسات الأكاديمية الجادة : «إن المثير للدهشة أن معظم المثقفين المصريين الذين عاصروا اليهود أثناء وجودهم في مصر قبل حرب سنة ١٩٤٨ م لا يعلمون

شينا عن طبيعة النشاط الصهيوني الذي مارسه الصهيونيون في البلاد^(١).

وأنتى لمن لا يعلم ما يدور من نشاط صهيوني في بلده، أن يعلم ما يدور من هذا النشاط في خارج هذه البلاد؟!

وفي تقديرنا، أن «التغريب» والانبهار بالنموذج الحضاري الغربي، الذي طبع الثقافة الليبرالية في بلادنا، هو الذي خلق «الثقافة - التابعة» و«المثقف التابع» للمشاريع الغربية، والعاجز، من ثم، عن نقد هذه المشاريع الغربية، الأمر الذي جعل الكثير من المثقفين الليبراليين - المتغربين - يغفلون عن هذا الخطر، أو يغضون الطرف عنه، بل ويقتربون - أحيانا - من الخيانة عندما يصفون الظلال الإنسانية على تدفق الهجرات الصهيونية إلى فلسطين، وذلك بتصوير المعاناة التي يكابدها هؤلاء اليهود «المساكين»!!

كما لعبت العلمانية، التي صبغت ثقافة هؤلاء الليبراليين - والتي تنفي البعد الديني في الصراعات - ومنها البعد الديني في الصراع على القدس وفلسطين - لعبت دورها في «البرود الثقافي» الذي أصاب هؤلاء الليبراليين إزاء المخاطر الصهيونية التي كانت تزحف على القدس وفلسطين.



(١) [اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية] ص ٩.

● ولحسن الحظ، فإن هذه «البلوى الثقافية والفكرية» لم تكن عامة في كل دوائر الفكر ونيارات الثقافة في بلادنا... فالعلماء والمفكرون والمثقفون الإسلاميون قد وعوا مخاطر هذا المشروع «الصليبي - الصهيوني»... ونبهوا على آثاره الكارثية، لا على فلسطين وحدها، وإنما على الأمة الإسلامية جمعاء...

ولقد شهدت إحدى الدراسات اليسارية - بحق - على «أن المثقفين الليبراليين العرب قد تسامحوا مع الصهيونية، ولم يقف ضدها إلا أصحاب الاتجاهات الإسلامية والعربية...»^(١).

وإذا شئنا إشارة إلى نموذج من نماذج الوعي الإسلامي بخطر هذا المشروع «الصليبي - الصهيوني» فإن في مجلة [المنار] لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] - والتي كانت المنبر الإسلامي العالمي الذي حمل فكر مدرسة الإحياء والتجديد - مدرسة جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] والإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] - على امتداد ما يقرب من أربعين عاماً - إن في [المنار] وصاحبه النموذج على الوعي الإسلامي بمخاطر هذا المشروع «الصليبي - الصهيوني».

- ففي نوفمبر سنة ١٩١٠ م نبه الشيخ رشيد رضا على خطر التغلغل اليهودي في الدولة العثمانية، «لأن هدفهم أن يملكوا بيت

(١) [الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٥٤ م - دراسة تحليلية] ص ٦

المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك إسرائيل»^(١) . فاحظر محقق بالشرق الإسلامي كله وليس فقط بفلسطين . .

- وفي أكتوبر سنة ١٩٢٨ م ينه الشيخ رشيد رضا إلى مخاطر إقامة الكيان الصهيوني على الوحدة العربية والإسلامية، وذلك بإقامته الجسم «الصهيوني» العازل بين أبناء الأمة العربية وأوطانها . فيكتب قائلا: إن غرض الانجليز من مساعدة اليهود على العرب في فلسطين . هو «جعل هذه المنطقة من البلاد يهودية - بريطانية» فاصلة بين عرب مصر وعرب سورية والعراق...»^(٢) .

- وفي الوقت الذي اندلعت فيه الاضطرابات على أرض فلسطين - هي ثورة البراق - ضد تطلعات اليهود إلى المقدسات الإسلامية . كتب الشيخ رشيد رضا سلسلة من المقالات التي تحلل تاريخ هذا الصراع بين العرب والمسلمين وبين هذه الأطماع «الصلبية - الصهيونية» . وذلك تحت عنوان (تحليل لتاريخ الأطماع اليهودية في فلسطين) . وما جاء في هذا التحليل:

«إن اليهود من قواعد شريعتهم (التوراة) أن يستأصلوا القوم الذين يغلبونهم على أمرهم (حتى لا يستبقوا منهم نسمة ما) . .

ومن الحقائق الثابتة الخفية أن «الجمعية الماسونية» التي تلت عروش الحكومات الدينية من أمم أوربة والترك والروس، هي من كيد

(١) مجلة [المناظر] مجلد ١٣ ج ١٠ ص ٧٢٥ - عدد نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) المصدر السابق . مجلد ٢٩ ج ٦ ص ٤١٦ - عدد ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ .

اليهود، وهم أصحاب السلطان الأعظم فيها، وإن كان ذلك يخفى على كثير من أهلها أو أكثر المنتمين إليها، ومن غرائب كيد اليهود وقدرتهم التي فاقوا بها جميع شعوب البشر، أن الغرض السياسي النهائي لهم من هذه الجمعية هو تأسيس دولة يهودية دينية في مهد الدولة الإسرائيلية التي أسسها داود وأثبها سليمان باني هيكل الدين اليهودي في أورشليم على جبل صهيون، ولهذا سموها جمعية البنائين الأحرار. ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان، وأكثر أفراد هذه الجمعية يجهلون السبب الصحيح لهذه التسمية..

ومن الحقائق الاجتماعية التاريخية أن اليهود هم الذين وضعوا النظام المالي، والذي هو قطب رحي المدنية الغربية الحاضرة في العالمين القديم والجديد، وأن لهم به النفوذ الأعلى في جميع الدول والأمم «الراسمالية».. كما يقال في عرف هذا العصر..

ومن الحقائق الثابتة التاريخية أيضا، أنه لم توجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه كيد اليهود ومكرهم في الأمم، ومقاصد الماسونية وأهلها وتصدت لمقاومتهم وإسقاط نفوذهم إلا جمعية الجزويت الكاثوليكية، وذلك أن الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لأخبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم. ويعلمون أن اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي انتظم في سلكها الملايين من النصاري ومن غيرهم وأكثرهم لا يشعرون.. كما لا يخفى ما كان من نفوذ اليهود في ملاحدة الروس الذين أضاعوا سلطة الكنيسة الأرثوذكسية بمجلس الدوما، ثم أسقطوها بثل عرش

التي حاصرتها دعائتها وحماتها، ونأسيس حكم البلشفية في تلك الممالك
الواسعة..

وما كان من نقوذهم في ملاحدة الترك بإسقاط نفوذ الخلافة التركية
العثمانية، ثم بهدم الشريعة الإسلامية من المملكة التركية، وجعل حكومتها
إلحادية تسعى لمحو الإسلام من الشعب التركي وعن الشعوب الأعجمية
الإسلامية التي كانت تابعة لها كالألبان والبوشناق وغيرهما كالإيرانيين
والأفغانيين..

... ولقد استخدم اليهود دول النصارى فظاهرتهم على المسلمين ...
وأسسوا الجمعية الصهيونية للسعى إلى ذلك بقوة الشعب اليهودي المالية
والمعنوية، ويجعل الاعتقاد التقليدي حاديا لهم في هذا السعى وقوة روحية
تؤيد سائر القوى الكسبية..

إنهم سدنة المال، هيكل المعبود الأكبر للأمم والدولة العظمى في هذا
العصر، وهم الذين استعبدوهم له، ولهم - بهذا المال - في العالم المدني من
النفوذ والصحف والقدرة على الدعاية ما يقلب أخصائق، ويلبس الحق
بالباطل..

وهم يعتمدون فيما يرومون من الاستقلال في الوطن القومي في
فلسطين على قوة الانكليز تحميهم.. ولقد طلب عشرة آلاف من شبان
اليهود الأمريكيين إذن حكومتهم لهم أن يذهبوا إلى فلسطين لئتنال
العرب..»

وبعد هذا التحليل المستفيض - الذي اقتبسنا منه هذه السطور -
والذي أشار فيه الشيخ رشيد رضا - أيضا - إلى إحسان المسلمين -

تاريخيا - إلى اليهود - «وكان من عدل المسلمين ورحمتهم أن رفعوا
الاضطهاد عن رؤوس اليهود، وعاملوهم بالعدل والرحمة، حتى إنهم
صاروا يأذنون لبعضهم بالإقامة في بيت المقدس» - بعد أن كانوا ممنوعين
من ذلك على عهد الرومان . . (١)

بعد هذا التحليل . . أشار الشيخ رشيد إلى سعيه لدى رؤساء
المنظمات الصهيونية، كي يفكروا تحالفهم مع الاستعمار، ويعيشوا -
كما كانوا في البلاد العربية والإسلامية - «أهم ما للمسلمين وعليهم ما
على المسلمين» . .

ولقد أشار - وهو يصدد الحديث عن هذه المساعي - إلى دور
«جمعية الاتحاد والترقي» التركية - عندما انقلبت على السلطان
العثماني - في التمكين لليهود في فلسطين . . فقال :

«وما زال أمل اليهود في فلسطين يقوى ويضعف، ويظفر
ويرسب، حتى طمعوا في عهد السلطان عبد الحميد بإباحة الهجرة -
[إلى فلسطين] - والامتلاك بلا شرط ولا قيد :

ثم طمعوا على عهد دولة الاتحاد والترقي (التي استقطت هذا السلطان
وملكت على من بعده الأمر بمساعدتهم) في شراء فلسطين من الجمعية
ببضعة ملايين من الجنيهات.

(١) المصدر السابق - مجلد ٣٠ جزء ٥ ص ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣ - عدد ٢٩
جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ م - ١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م

ولما علمنا بهذه المساعي، توخيت أن ألقى معتمد الجمعية الصهيونية بمصر، فأستعرف له وأعترفه الحقيقية، وأعترفه برأى الجمعيات العربية في الأمر، واهتديت إلى ذلك بسعي بعض معارفي من اليهود - وكان مما كاشفت به المعتمد الصهيوني: أن عزم جمعيتهم على شراء فلسطين من إخوانهم في المساوية زعماء جمعية الاتحاد والترقي قد بلغ زعماء العرب المشتغلين بالسياسة وترقية الأمة العربية، وقرروا فيما بينهم أنه إذا تحقق هذا النبا ووقع بأي شكل من الأشكال فلا وسيلة عندهم إلا تأليف العصابات المسلحة من البدو وغيرهم لمقاومة هذا الاعتداء على بلادهم بكل ما يمكن من وسائل المقاومة المعهودة عند الشعوب الأخرى... وأنه خير لليهود، إذا كانوا يريدون أن يكثروا في البلاد العربية (فلسطين وغيرها) ويكونوا فيها أحراراً آمنين ممنوعين بما يتمتع به سائر أهلها من الحقوق المدنية والشخصية، أن ينفقوا مع زعماء العرب أنفسهم على ذلك من وسائل ومقاصد - وأرى أن ذلك ممكن...

ولما فصلت له هذا الرأي، أعجبه، وبلغه بجمعيتهم، وظهر له أثر بمؤتمر (بال) الصهيوني، إذ صرح بعض أعضائه بالخطر الوحيد الذي يستقبلهم من قبائل العرب البدوية.

ولم تقطع مساعي الشيخ رشيد رضا، ومحاولاته إقناع اليهود بفك ارتباطهم بالمشروع الاستعماري الغربي، والاتفاق مع العرب على أن يعيشوا في البلاد العربية، بما فيها فلسطين - «أحراراً آمنين ممنوعين بما يتمتع به سائر أهلها من الحقوق المدنية

والشخصية» . . . لم تنقطع مساعيهِ وأمالهِ حتى بعد صدور وعد «بلغور» سنة ١٩١٧ م . . . فسعى للقاء «حايم وايزمان» [١٨٦٤ - ١٩٥٢ م] رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وحاوره حول هذا الأمر . . . وكتب عن ذلك فقال :

« . . . ثم ذكرت، في هذا الموضوع، زعيم الصهيونية الكبير الدكتور [وايزمان] بعد الحرب العالمية والشروع في تنفيذ عهد بلغور، في إثر مذكرات أخرى مع بعض رجال الجمعية - [الصهيونية] - في مصر والقدس وقف هو على تفاصيلها كلها. وكان يريد المجيء إلى مصر قبل الحرب للبحث فيه معي . ومما قاله لي: إن رأيي في اتفاق العرب مع أبناء عمهم العبرانيين ممكن، غير خيالي، بشرط أن يرضى به أعضاء العرب وحكامهم المستقلون . . .

ثم انقطعت المذاكرة في هذه المسألة لاعتماد الصهاينة على قوة الانكليز في إعادة ملك إسرائيل لهم . وكل منهما يكر بالآخر»^(١) . . .

وهكذا رفضت الصهيونية مصافحة اليد العربية الإسلامية التي امتدت إليها، طالبة منها العيش في العالم العربي «أحرارا آمنين متمتعين بما يتمتع به سائر أهلها من الحقوق المدنية والشخصية» وعضوا في «الشراكة» التي عقدها مع الإمبريالية الصليبية الغربية ضد العرب والمسلمين! . . .

(١) المصدر السابق . مجلد ٣٠ ج ٥ ص ٣٩١، ٣٩٢ .

● وفي عدد [المنازل] الصادر في ٣٠ يناير سنة ١٩٢٩ م. . يعاود الشيخ رشيد رضا تناول القضية . . فيكشف لنا عن وعى بدور «المسيحية - الصهيونية» في المخطط الامبريالي الغربي لاغتصاب القدس وفلسطين وذلك عندما يقول :

«وأعجب من ذلك أن دسائس اليهود تمكنت من إغواء كثير من نصارى أوربة وأمريكا وإقناعهم بأن الإيمان بالكتاب المقدس يقتضي مساعدتهم على العودة إلى فلسطين وامتلاك أورشليم - إلخ . تصديقاً للأنبياء . وتحقيقاً لظهور المسيح - الذي يختلف القريشان في شخصه وعمله - فاليهود يعنون مسيحهم الملك الديسوي الذي يعيد ملك سليمان لهم ، والنصارى يعنون المسيح عيسى ابن مريم الذي يجيء في ملكوته ليدبرن العالم . .» (١)

● وفي عدد [المنازل] الصادر في أول ديسمبر سنة ١٩٢٩ م. . يشير الشيخ رشيد رضا إلى الموقف الواعي والشجاع لشيخ الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغي [١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ - ١٨٨١ - ١٩٤٥ م] «الذي ارتفع صوته - ضد المخططات الانجليزية - اليهودية في فلسطين - في وقت خرس في السنة جميع أمراء مصر وكبرائها الأحرار - [الليبراليين] - حتى غير المتقربين بسياسة الحكومة ومشرعيها ، لا الوزراء والرؤساء الرسميين وحدهم ! والشيخ المراغي من كبارهم .

(١) المصدر السابق - مجلد ٣٠ - ص ٧٥٥ عدد ٣٠ شعبان سنة ١٣٤٨ هـ - ٣٠ يناير سنة ١٩٢٩ م .

وموقفه هذا فئح جديء فى النهضة العربفة والبفظة الإسلامفة
معا . (١)

• وفى الوقت الذى كانت الصحافة الصهفونفة بمصر تنشر
فبه الإعلانات التى تغرى الفهود بشراء أرض فلسطين . كان
الشفف رشفء رضا فصدر وففشر «فتوى» فففرم بفع الأرض العربفة
للهود . .

فلقد جاءء من أرض فلسطين «سؤال» - من محمد بفقوب الففصفف
رففس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشفبان العربف بفلسطين - فسال فففه عن
«حكم الشرع ففمن فساعد الفهود على امتلاك فلسطين بففع أرضفها
وغير ذلك» . . وجاءء فى السؤال :

«لقد وصلت حالة البلاد الفلسطينفة إلى درجة من أسوأ الحالات ،
وأفصف هذا القطر العربف الإسلامف مفهدا بفخطر الاضمحلال والزوال ،
بسبب ما تسرب إلى أفءى أعداء البلاد من الأراضف المقدسة التى تعد
بحق هى الحصون التى فجب على كل مسلم أن فءافع عنها إلى آخر
نسمة من ففاته .

ولقد أعلن الفهود مرارا أنهم فرفءون الاستفلاء على هذه البلاد المقدسة

(١) المصدر السابق - مجلد ٣٠ - ص ٦٦ - عدد ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ هـ
١ ففمبر سنة ١٩٢٩ م

استيلاء أبدى تاما، وأن يجعلوها يهودية، كما أن انكلترا انكليزية. وقد بدأت نتائج غزوتهم تظهر جلية واضحة، فقد أصبح عدد كبير من المسلمين مشردين بلا مأوى، وهذه مقدمة لتشريد بقية السكان وإجلائهم عن بلادهم، كما أنهم استولوا على مرافق البلاد الاقتصادية، ولم يبق للمسلمين غير التسليل من أراضيتهم التي إن لم يحافظوا عليها أصبحت فلسطين المقدسة يهودية بالفعل بعد زمن قليل..

إن أعداء البلاد يريدون فتحها والاستيلاء عليها بالمال، ولو أنهم أرادوا افتتاحها حربا وقعد أحد أبنائها عن الجهاد، أو قام يساعد الخصوم على امتلاكها ثقلنا إنه خارج عن دينه وقومه، فما رأيكم فيمن يساعدهم على تملكهم البلاد؟ وهذا لا يقل خطورة عن يقعد عن الجهاد أو يساعد الخصم؟

وهل يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ويكتاب الله وشريعته ورسوله أن يبيع أرضه لليهود بعد أن يعلم أنه إن فعل ذلك مكنهم من مقدسات المسلمين، وساعدهم على القضاء على الإسلام، وطرد إخوانه من بلادهم؟ وما حكم أمثال هؤلاء في الإسلام؟

رئيس اللجنة التنفيذية مؤتمر الشبان العربى بفلسطين

محمد يعقوب الغصين

● وجوابا على هذا السؤال - الذى نشر فى مجلة [المنار] عدد ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ يونية سنة ١٩٣٣ م. والذى حذر فيه صاحبه من المخطط الصهيونى "للاستيلاء على فلسطين بالمال"، والسيطرة على

مراغفها الاقتصادية . . . وتشريد سكانها وإجلائهم عن بلادهم . . .
لتصبح فلسطين المقدسة يهودية . . . وهو المخطط الذي نفذته
الصهيونية تحت حماية الصليبية الغربية . . .

جواباً على هذا السؤال . . . أصدر الشيخ محمد رشيد رضا "فتواه"
التي نشرت في [المنار] - في ذات التاريخ - والتي قال فيها :
[الجواب] :

(بسم الله الرحمن الرحيم) رب آتني حكماً وفهماً، وعلمني من لدنك
علماً.

أما بعد، فإن حكم الإسلام في عمل الإنكليز واليهود والصهيونيين في
فلسطين حكم قوم من أهل الحرب أغاروا على وطن من دار الإسلام
فاستولوا عليه بالقوة، واستبدوا بأمر الملك فيه، وشرعوا في انتزاع رقة
أرضه من أهله بتدابير منظمة ليسلبوهم الملك (يكسر الميم) كما سلبوهم
الملك (بضمها).

وحكم من يساعدهم على عملهم هذا (امتلاك الأرض) بأي نوع من
أنواع المساعدة وآية صورة من صورها الرسمية (كالبيع) وغير الرسمية
(كالترغيب) حكم الخائن لأخته وولده، العدو لله وللرسوله وللمؤمنين،
الموالى لأعدائهم وخصومهم في ملكهم وملكهم. لا فرق بين المجاهد
معهم للمسلمين بماله ونفسه. فالذي يبيع أرضه لليهود الصهيونيين، والذي
يسعى في شراء أرض غيره لهم من سمسار وغيره كالذي يساعد أي قوم
من الأجانب على قومه فيما يحاولون من فتح بلادهم بالسيف والنار

وامتلاك أوطانهم، بل أقول، ولا أخاف في الله لومة لائم، ولا إيذاء ظالم: إن هذا النوع من فتح الأجسني لدار الإسلام هو شر من كل ما سبقه من أمثاله من الفتوح الحربية السياسية والدينية على اختلاف أسمائها في هذا العصر، لأنه سلب لحق أهل الوطن في ملك بلادهم وحكمهم، وخطفهم في ملك أرضها لأجل طردهم منها. ومن المعلوم بالبداهة أنه إذا بقي لنا ملك الأرض تيسر لنا إعادة ملك الحكم، وإلا فقدناهما معا..

هذا وإن فقد فلسطين خطر على بلاد أمتنا المجاورة لهذا الوطن منها، فقد صار من المعلوم بالضرورة لأهل فلسطين والمجاورين لهم، ولكل العارفين بما يجري فيها، من عزم اليهود على تأسيس الوطن القومي الإسرائيلي، واستعادة ملك سليمان بقوة المال، الذي هم أقطاب دولته الاقتصادية وبثوة الدولة البريطانية الحربية، إن هذا الخطر سيسرى إلى شرق الأردن وسورية والحجاز والعراق، بل هو خطر سينقل من سيناء إلى مصر..

وجملة القول، أن الصهيونية البريطانية خطر على الأمة العربية في جميع أوطانها الآسيوية، وفي دينها ودنياها، فلا يعقل أن يساعدتهم عليه عربي غير خائن لقومه ووطنه، ولا مسلم يؤمن بالله تعالى وبكتابه العزيز وبرسوله محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه. بل يجب على كل مسلم أن يبذل كل ما يستطيع من جهد في مقاومة هذا الفتح، ووجوبه أكد على الأقرب فالأقرب وأهون أسباب المقاومة وطرقيها

المقاومة السلبية، وأسهلها الامتناع عن بيع أرض الوطن لليهود، فإنه دون كل ما يجب من الجهاد بالمال والنفس الذي يبذلونه هم في سلب بلادنا وملكنا منا.

ومن المقرر في الشرع أنهم إن أخذوها، وجب على المسلمين - في جملتهم - بذل أموالهم وأنفسهم في سبيل استعادتها، فهل يعقل أن يبيع لنا هذا الشرع تمهيد السبيل لاملاكهم إياها بأخذ شيء من المال منهم، وهو معلوم باليقين، لأجل أن يوجب علينا بذل أضعاف هذا المال مع الأنفس لأجل إعادتها لنا، وهو شكوك فيه، لأنه يتوقف على وحدة الأمة العربية وتجديد قوتها بالطرق العصرية، وأنني يكون ذلك لها وقلب بلادها وشرايين دم الحياة فيها في قبضة غيرها؟!.

فالذي يبيع أرضه لليهود في فلسطين أو في شرق الأردن يعد جانيا على الأمة العربية كلها لا على فلسطين وحدها.

ولا عذر لأحد بالفقر والحاجة إلى المال للنفقة على العيال، فإذا كان الشرع يبيح السؤال المحرم عند الحاجة الشديدة، ويبيح أكل الميتة والدم ولحم الخنزير للاضطرار، وقد يبيع الغصيب والسرقسة للرغيف الذي يسد الرمق ويقي الجائع من الموت بنية التعويض. فإن هذا الشرع لا يبيح لمسلم بيع بلاده وخيانة وطنه ومثله لأجل النفقة على العيال. ولو وصل إلى درجة الاضطرار، إن فرضنا أن الاضطرار إلى القوت الذي يسد الرمق يصل إلى حيث لا يمكن إزالته إلا بالبيع لليهود وسائر أنواع الخيانة، فالاضطرار الذي يبيح أمثال ما ذكرنا من المحظورات أسر يعرض للشخص الذي أشرف

علي الموت من الجوع، وهو يزول برغيف واحد مثلاً، وله طرق
ووسائل كثيرة.

وإنني أعنف أن الذين باعوا أرضهم لهم لم يكونوا يعدسون أن بيعها
خيانة لله ولرسوله ولدينه ولأمة كلها. كخيانة الحرب مع الأعداء
لتمليكم دار الإسلام وإذلال أهلها، وهذا أشد أنواعها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عند أجر
عظيم ﴿ (الأنفال: ٢٧، ٢٨) ... (١)

هكذا تألق الوعي السياسي والشرعي للشيخ رشيد رضا في
هذه الفتوى . . التي أرسى فيها قواعد سياسية وشرعية تستحق
الدراسة . .

- فالاستعمار الاستيطاني هو أخطر أنواع الاستعمار . . لأن
استعمار الفتح والغزو الحربي يسلب الشعوب المملوك والحكم لبلادها
المستعمرة . . بينما الاستعمار الاستيطاني يسلب ملكية الأرض
والمملوك والحكم جميعاً! . . وإزالته والتحرر منه تكون أصعب من
إزالة الاستعمار السياسي والحربي . .

- والاستعمار الصهيوني لفلسطين هو خطر داهم ليس على

(١) المصدر السابق . مجلد ٣٢ ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ عند ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ.
يونيه سنة ١٩٣٣ م.

فلسطين وحدها، وإنما على الوطن التوراتي اليهودي المزعوم - مصر . . والحجاز . . والأردن . . والعراق أيضا ! - ومن ثم فإنه خطر دائم على الأمة جمعاء . . ولذلك فإن مواجعتها ومعجاة هذته فريضة إسلامية على الأمة جمعاء . .

- ويبيع الأرض لليهود في فلسطين أو الأردن - لا تبرره أية ضرورة من الضرورات الشرعية وإنما هو أشد أنواع الخيانة لله ولرسوله ولدينه وللأمة كلها . .

هذا عن المشهد الفكري والثقافي في بلادنا إزاء هذا الخطر الذي أحرق بالقدس وفلسطين وبالشرق الإسلامي بوجه عام .

غفلة لبرالية وعلمانية، صنعتها ثقافة التبعية للغرب والانبهار بكل ما يأتي منه . . بل وغض الطرف عن كشف العوار الغربي حتى ولو كان كارثة على وطن العرب وعالم الإسلام ! . .

وبقطة إسلامية إزاء هذا الخطر، صنعتها الولاء لتهوية الأمة، وللوطن الذي هو وعاء هذه الهوية العربية الإسلامية . . وهي البقطة التي فُصمت « بفريضة الكفاية » في هذا الميدان الفكري والثقافي .



● أما المعلم الثالث من معالم الساحة الشرقية . . وهو معالم الموقف السياسي للدول والحكومات في الشرق العربي إزاء هذا المشروع « الصليبي - الصهيوني » فلقد كان متفاوتا ما بين « البقطة » التي وقف خلفها « الوعي بالمصالح الوطنية » واستقلال القرار

السياسي". . وما بين «الخيانة» التي أثمرتها الغفلة والتفريط والتهافت على الفئات المتساقط من موائد الاستعمار .

- وكمثال على هذا الموقف الأول - «يقظة الوطنية» . واستقلال القرار السياسي - كان موقف الدولة المصرية في عهد محمد علي باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ ١٧٧١ - ١٨٤٩ م] التي رفضت المشروع اليهودي للاستيطان في فلسطين ، الذي تقدم به المليونير اليهودي الإنجليزي «حاييم سونتفيوري» [١٧٨٤ - ١٨٨٥ م] إلى حكومة محمد علي سنة ١٨٣٩ م . . كما رفضت تملك الأمريكان قطعة أرض في القدس - بحجة إقامة مدفن لأمواتهم عليها . سنة ١٨٣٦ م . . رفضت الحكومة المصرية ذلك وعيا منها بالأهداف الاستراتيجية لتخليق الكيانات اليهودية في فلسطين ، وهي الأهداف التي تمثلت في عزل مصر عن المشرق العربي والإسلامي ، لتحيلولة دون وحدة الأمة ونهوضها وتقدمها . .

ولهذه الحقيقة ، كان السعي «الصليبي - الصهيوني» المضاد . .

ف «مونتفيوري» - الذي رفضت مصر مشروعه الاستيطاني في سنة ١٨٣٩ م - هو الذي حصل من وزير الخارجية الإنجليزي «اللورد بالمرستون» في سنة ١٨٤٠ م علي وعد «بأن يصبح القناصل الانجليز في الشرق حماة لليهود في الاقطار التركية»^(١) .

(١) [إسرائيل هل هي سامية؟] ص ٩٩

وعندما نجحت إنجلترا - ومن ورائها أوروبا الاستعمارية - في إجبار الجيش المصري على الانسحاب من الشام ، وفك عرى وحدة مصر مع المشرق العربي - بعد معاهدة لندن سنة ١٨٤١ م - رأت الصليبية - الصهيونية في هذه الهزيمة المصرية انتصاراً لمخطط الاغتصاب لفلسطين وتوطين اليهود فيها . فراح نائب رئيس «جمعية التبشير الانجليزية» «أشلي كوبر» (إيرفستسبري) (١٨٠١ - ١٨٨٥ م) «بالانتصار على المصريين في الشام ، لأن هذا الانتصار يسهل الانفاقات الهادفة إلى إقامة دولة اليهود»^(١) .

كذلك . . حصل «مونتيوري» سنة ١٨٤٥ م على مشروع استعمار عدد من القرى الفلسطينية . وهو المشروع الذي رفضته مصر - محمد علي باشا - سنة ١٨٣٩ م . . .

● أما النموذج الثاني لهذه اليقظة الشرقية إزاء هذا الخطر «الصليبي - الصهيوني» فهو موقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] الذي رفض الضغوط الاستعمارية ، والإغراءات الصهيونية للتصريح بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين . . . ويكفي لتبرهنه على آثار هذا الموقف ، ليس فقط الاستشهاد بكلمات السلطان إلى «مرتزل» [١٨٦٠ - ١٩٠٤ م] - والتي جاء فيها - :

(١) م - ولیم سلیمان - مجلة [الطلیعة] - القاهرة - عدد ديسمبر سنة ١٩٦٦ م .

«لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدة من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي». وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. ليحتفظ اليهود ببلايتهم، فإذا قُسمت الامبراطورية فمقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. . . ولن تقسم إلا علي جثتنا»^(١).

فغير هذا الموقف «المبدئي» والنظري، الشجاع للسلطان عبد الحميد. والذي عبر عنه بهذه الكلمات القاطعة. في ١٩ - ٦ - ١٨٩٦ م. وبالإضافة إليه، هناك استقرار واقع الوجود اليهودي على أرض فلسطين. . . والذي ظل وجودا هامشيا طوال وجود الدولة العثمانية. . .

فرغم فساد «الإدارة» العثمانية. . . وحيل القوى الاستعمارية. . . وإغراءات الأموال اليهودية. . . ولا أخلاقية التماسرة الصهيونية، ظلت نسبة الوجود اليهودي في العدد. . . وفي لملك الأرض، متدنية وهامشية على امتداد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن. . .

ففي سنة ١٨٥٢ م كان الوجود اليهودي في فلسطين ٤٪ من سكانها. . . وفي سنة ١٩١٨ م - أي بعد قرابة ثلاثة أرباع القرن - لم تزد نسبة اليهود في فلسطين عن ٨٪ من سكانها. . .

أما ملكيتهم للأرض - سنة ١٩١٨ م - فلم تتجاوز ٢٪ من مساحة أرض فلسطين!

(١) [ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية] ج ١ ص ٦٦

وتلك شهادة. «عملية». إلى جانب الموقف الفكري والسياسي - «المبدئي» - المعبر عن الوعي العثماني بخطور هذا المشروع الصليبي - الصهيوني «لا على فلسطين وحدها، وإنما على الدولة العثمانية» كلها، كما قال - بحق - الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٩١٠.

كما تدل هذه الحقيقة - أيضا - على أن الاستعمار الانجليزي وإن نجح في اللعب على التناقضات بين الدولة العثمانية وبين الدولة المصرية - في عهد محمد علي باشا الكبير - عندما انحاز إلى العثمانيين ضد مشروع محمد علي باشا - إلا أن هذا الاستعمار لم ينجح في الوصول بهذه «اللعبة» إلى مقاصدها النهائية . . وهي جعل العثمانيين يفتحون أبواب فلسطين لليهود . بدعوى أن وجودهم فيها هو «العقبة أمام أهداف محمد علي أو من يخلفه» ! .



● أما نموذج «خيانة الغفلة» فلقد تمثل في المفاوضات التي دارت بين الأمير «فيصل بن الحسين» [١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣ م] وبين رئيس المنظمة الصهيونية العالمية «حاييم وايزمان» [١٨٦٤ - ١٩٥٢ م] والتي انتهت بتسليم الأمير «فيصل» بوعده بلفور . . وبأن فلسطين يهودية ، خارجة عن نطاق «الدولة العربية» التي نادى بها والده - الشريف «حسين بن علي» [١٢٧٠ - ١٣٥٠ هـ ١٨٥٤ -

١٩٣١م] لقاء تعاونه مع الإنجليز ، وثورته ضد الدولة العثمانية
سنة ١٩١٦ م . .

لقد سبق للشيخ رشيد رضا أنفاوض زعماء الصهيونية - قبل
الحرب العالمية الأولى . . وقبل صدور وعد بلفور - ثمفاوض
«وايزمان» بعد الحرب العالمية ، وبعد صدور وعد بلفور . . ولكنه كان
يفاض ليطلب من اليهود أن يتخلوا عن حلفهم غير المقدس مع
الاستعمار الغربي ، مقابل أن يعيشوا مع العرب والمسلمين «أحرارا
أمينين متمتعين بما يتمتع به سائر أهل البلاد العربية من الحقوق المدنية
والشخصية. وأن يتفقوا مع زعماء العرب أنفسهم على ذلك .»

أما مفاوضات «فيصل - وايزمان» فإنها قد انتهت إلى «اتفاق» على
إخراج فلسطين عن الإطار العربي ، والتسليم بأنها يهودية ، تقوم بينها
وبين الدولة العربية علاقات تعاون وحسن جوار . . .

وقد تم تقنين هذه المفاوضات وهذه التنازلات في الاتفاق الذي
وقع في ٣ يناير سنة ١٩١٩ م . . والذي جاء فيه :

«صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، يمثل ويعمل لصالح مملكة
الحجاز العربية. والدكتور حاييم وايزمان ، يمثل ويعمل لصالح الجمعية
الصهيونية.

مع ذكرهما القرابة العنصرية، والروابط القديمة الكائنة بين العرب
واليهود، وإدراكهما أن أضمن وسيلة لتحقيق أمانهم القومية هي التعاون
لترقية الدولة العربية، وفلسطين.

وبما أنهما يرغبان - زيادة على ذلك - في تأييد التفاهم الطيب القائم بينهما، اتفقا على المواد التالية:

المادة الأولى: يجب أن تسود الدولة العربية وفلسطين، في جميع علاقاتهما، وأعمالهما روح تفاهم نام قائم على أساس الإخلاص وحسن النية، ولهذه الغاية يوفد ممثلون عرب ويهود مفوضون تفويضا رسميا إلى كل من البلدين.

المادة الثانية: نخطط الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين بواسطة لجنة يتفق عليها الفريقان حالما تتم مفاوضات مؤتمر السلام.

المادة الثالثة: تؤخذ جميع التدابير، وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ م - [أي وعد بلفور] - حين وضع دستور حكومة فلسطين ونظامها الإداري.

المادة الرابعة: تتخذ كل التدابير لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتشويشها بمخيمات كبيرة، ويسرع على قدر ما تسمح به الظروف في إسكان المهاجرين في الأراضي، وتضامن حقوق الفلاحين العرب، ويساعدون في تقدمهم الاقتصادي.

المادة الخامسة: لا يوضع نظام أو قانون يمنع أو يحول بأية طريقة دون ممارسة الأديان بحرية كاملة، ويسمح أيضا بدون قيد أو شرط بحرية

العقائد والعبادات بدون تمييز أو تفضيل. وتمارس الحقوق المدنية والسياسية.

المادة السادسة: تكون المقدسات الإسلامية تحت إشراف إسلامي

المادة السابعة: ترسل الجمعية الصهيونية إلى فلسطين لجنة من الخبراء لدرس قابلية البلاد الاقتصادية، وتقديم تقرير عن أفضل الوسائل لتحسينها، وتضع الجمعية الصهيونية هذه اللجنة تحت تصرف الحكومة العربية، وتستخدم الجمعية الصهيونية خير جهودها لمساعدة الحكومة العربية في إعداد الوسائل لتحسين الموارد الطبيعية والقابلية الاقتصادية في بلادها.

المادة الثامنة تحكم الدولة البريطانية في كل خلاف يبدو خلال تطبيق أحكام هذا الاتفاق.)

ففي هذا الاتفاق:

١. تسليم بأن فلسطين يهودية . . يمثلها سفراء يهود معتمدون لدى الدولة العربية ! .

٢. وتسليم بوعدها بلفور ، الذي يتصل على إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ! .

٣. وتجاهل لوجود الشعب الفلسطيني . . والاكتفاء بالإشارة إلى «حقوق الفلاحين العرب» ، دون حتى إشارة إلى أنواع تلك الحقوق ! . وهل لهم حقوق سياسية أم لا ؟ ! . .

٤ . وتسليم بأن المقدسات الإسلامية هي تحت «الإشراف الإسلامي»
ولست تحت «السيادة الإسلامية والعربية» ! .

٥ . والتسليم بأن إنجلترا العدو للعرب . . . والشريك للصهيونية . هي
القاضي والحكم في النزاعات التي تنشأ أثناء تطبيقات هذا
الاتفاق ! .

٦ . وأخيرا فتح أبواب الهيمنة الاقتصادية الصهيونية ، لا على فلسطين
وحدها ، وإنما أيضا على الدولة العربية ! ! ! .

ولقد أضاف الأمير فيصل إلى ذيل هذا الاتفاق «حاشية
شخصية» ، لم يقل «وايزمان» ولم يوقع بالموافقة عليها أو الالتزام
بها . . أضاف فيصل هذه العبارة :

«إن نال العرب استقلالهم وفقا للمطالب التي تضمنتها مذكرتي إلى
وزارة الخارجية البريطانية، كان ذلك الاتفاق صالحا. وإن رفضت هذه
المطالب. كلها أو بعضها، أعتبر نفسي ظليقا من كل قيد. وأعتبر هذا
الاتفاق لاغيا».

وبعد شهرين من عقد هذا «الاتفاق» عزره الأمير فيصل بخطاب
يحمل مضمونه إلى القاضي الصهيوني الأمريكي «فيلكس
فرانكفورت» عضو الوفد الصهيوني إلى مؤتمر «فرساي»
بفرنسا^(١) .

وإذا كان «الشريف حسين» . والد الأمير فيصل . قد وصف موقفه

(١) [إسرائيل هل هي سامية؟] ص ١٤٦ - ١٤٩ .

ابنه في هذا «الاتفاق» بقوله : «إن فيصل قادر على أن يبيع نفسه نظير
صحن من العسل»!!^(١) . فإن فيصل هنا، لم يكن يبيع
«نفسه» . وإنما كان يبيع وطنه مقدسا . . هو القدس
وفلسطين . . .



● أما نموذج «العجز والتبعية» . العجز أمام الاستعمار والتبعية
لسياسته . فهو ذلك الذي اتخذهُ الملوك والقادة العرب من الثورة
الفلسطينية التي اندلعت سنة ١٩٣٦ م . ففي أثناء أحداث هذه الثورة
التي استمرت ثلاث سنوات [١٩٣٦ - ١٩٣٩ م] . وجدنا كوكبة
من الملوك والأمراء العرب الذين ارتبطت عروشهم ومصالحهم
بالاستعمار يستخدمون نفوذهم في إنهاء هذه الثورة ، لئلا
لا يجلبوا كفى تواجه خطر ألمانيا النازية التي كانت تهم باجتياح أوروبا في
ذلك التاريخ . .

لقد سخر الملوك والرؤساء العرب نفوذهم لخدمة الاستعمار
الإنجليزي . ومعه الصهيونية . ضد الثورة الفلسطينية . . وذلك عندما
وجهوا نداءهم إلى الشوار لإنهاء ثورتهم ، والاعتماد على حسن نوايا
الاستعمار ! . . ولقد جاء في هذا النداء . الذي وجهه ملوك وأمراء
السعودية واليمن والعراق وشرق الأردن . :

(١) المرجع السابق . ص ١٥١

«إلى أبنائنا عرب فلسطين:

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين. فنحن، بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله، ندعوكم للإخلاء للسكينة، حقنا للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم»^(١).

هكذا تنوعت المشاهد على الساحة الشرقية - العربية والإسلامية - ما بين «اليقظة» و«الغفلة» . . . وما بين «وعى الاستقلال الوطنى» و«تفريط الخيانة والعجز والتبعية» . . . بينما كان النشاط المحموم «الصليبية - الصهيونية» دائما ودائبا لاغتصاب القدس وفلسطين . . .

● فالإسلاميون، الذين كان ولاؤهم للهوية الأمة، كانوا الأكثر وعيا بمقاصد ومخاطر هذا المخطط «الصليبي - الصهيونى» على القدس وفلسطين . . . وعلى الوطن العربى وعالم الإسلام . . .

● والحكومات والدول صاحبة الوعى السياسى، والاستقلال فى اتخاذ القرار، كانت واعية بمخاطر هذا المخطط على الوطن الإسلامى، الذى هو وعاء الهوية الإسلامية للعرب والمسلمين . . .

● أما المثقفون والساسة «الليبراليون» - [الذين كانوا يسمون

(١) المرجع السابق، ص ١٥١.

الأحرار!] فلقد أصابته الغفلة إزاء هذا الخطر، وأعمتتهم التبعية الثقافية عن إدراك المخاطر القادمة من المراكز الغربية، التي يكون لها المحبة والولاء... والتي ينبهرون بكل ما يشهد منها إلى عالم الإسلام!..

● وكذلك كانت الغفلة، وأحياناً الخيانة، للمحكّام الذين وثقوا بالمستعمر «واعتمدوا على حسن نوايا صديقتهم الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل»!..

ولا تزال هذه الغفلة سائدة حتى يومنا هذا في الدوائر التي تشكو من الاستعمار إلى الاستعمار! وتستجدي الأرض من لصوص الأرض!.. مديرة الظهر للرصيد الحقيقي.. والقوة الحقيقية في هذا الصراع.. رصيد الأمة.. وقوة ثقافة الجهاد والفتاء والاستشهاد.. التي مثلت، عبر تاريخنا، ولا تزال تمثل إحدى المعجزات المنجدة لدين الإسلام.

المشهد الفلسطيني

أما الموقف الفلسطيني - وخاصة بعد وضع المشروع الصهيوني في الممارسة والتطبيق - بقوة الاحتلال الإنجليزي سنة ١٩١٧ م . . الذي أعطته «عصبة الأمم» شرعية التنفيذ لوعده «بلفور» . . فلقد تحرك - هذا الموقف الفلسطيني - بالرفض والغضب . . والتنظيمات الوطنية والإسلامية والاحتجاجات والإضرابات والاضطرابات . . ثم بسلوك طريق الجهاد في سبيل إنقاذ القدس وفلسطين . .

● ففي سنة ١٩١٩ م قرر «المؤتمر القومي» المنعقد بمدينة القدس ، التمسك بعروبة فلسطين وقرر أن هذه القطعة من الوطن العربي إنما تكون «سورية الجنوبية» . . وقرر رفض مزاعم الصهاينة بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ، أو محل هجرة لهم .

ولقد اتخذ المؤتمر القومي العربي الأول هذا القرار في نفس العام الذي عقد فيه «الأمير فيصل» اتفاقية الذي أشرنا إليه مع «حايم وايزمان» ! .

● وفي أبريل سنة ١٩٢٠ م اتخذت المقاومة العربية لهذا المخطط

«الصليبي - الصهيوني» شكل الاضطرابات ذات الطابع العنيف، وشهدت مدينة القدس، في ذلك التاريخ، بعض هذه الاضطرابات ..

● وفي ديسمبر سنة ١٩٢٠ م انعقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في «حيفا» ليعبئ المشاعر القومية ضد مخطط الصهيونية والاستعمار ..

● وفي مايو سنة ١٩٢١ م وقعت في مدينة «يافا» اضطرابات دامية دامت خمسة عشر يوما ..

● وفي يونيو سنة ١٩٢١ م عقد في القدس المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع، الذي ترسم خطى المؤتمر الأول فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ..

● وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م - وهي ذكرى وعيد بلفور - تجددت - ثانية - الاضطرابات الدامية في مدينة القدس ضد الانتداب البريطاني وضد الصهاينة ..

● وفي مارس سنة ١٩٢٤ م تجددت الاضطرابات .. وحدثت هذه المرة في مدينة «يافا» ..

● وفي أغسطس سنة ١٩٢٩ كان سيل الهجرة اليهودية قد أخذ يتدفق على فلسطين .. وأخذت الصهيونية تطبق خطة «تضييق الخناق على عرب فلسطين حتى يضطروهم إلى الهروب» !! .. وهي الخطة التي سبق ورسمها زعماء اليهود في بيانهم الذي أصدروه سنة

١٨٨٢ م وذلك حتى تصبح فلسطين كما تريد الصهيونية . . وكما
تزعم - «أرضاً بلا شعب ، فنكون لشعب بلا أرض» !! . .

وعندئذ - ويومئذ - عمت فلسطين موجة من أعمال العنف المسلح ،
راح ضحيتها ووقوداً لها نحو ٢٠٠ (مائتين) من الصهاينة ، التهمتهم
نيران هذه الاضطرابات . .

• وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣١ م أعلن عرب فلسطين
الإضراب ، إعلانياً عن وحدتهم القومية في مواجهة المخاطر التي
ترايدت ، والتي تهدد عروبة وإسلامية القدس وفلسطين . .

• وفي سنة ١٩٣٣ م كانت العصابات الصهيونية المسلحة قد بدأت
في ممارسة أعمالها ، فقامت الثورة العربية الثالثة ضد الإنجليز وضد
هذه العصابات الصهيونية «الهجناء» و«أرجون زفاني ليومي» ،
و«شترن» ، التي كانت تمثل القوة الضاربة للصهيونيين . .

• وفي أغسطس سنة ١٩٢٩ م - وفي حماية سلطات الاحتلال
الإنجليزي التي تحكم فلسطين - حدث تطور «نوعى» عندما مدت
الصهيونية أعينها إلى ما وراء الأرض الفلسطينية . . فطلعت إلى
اختصاب المقدسات الإسلامية أيضاً ، وبدأت هذا المسعى بمحاولات
وضع أقدامها على حائط البراق - الذي أسموه «حائط المبكى» ! . .
ليكون سبيلهم إلى إزالة المسجد الأقصى ، وإقامة الهيكل على
أنقاضه . . ولقد ساعدتهم على ذلك سلطات الاحتلال الإنجليزي ،
ذات العقيدة البروتستانتية - الانجليكانية - التي ترى في تحقيق هذه

الأحلام الصهيونية شرطاً من شروط عودة المسيح . عليه السلام .
ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة . . .

وبومئذ انتفض الشعب الفلسطيني بالإضرابات والاضطرابات . .
ورغم أن اللجنة التي عينتها «عصبة الأمم» للفصل في هذا النزاع قد
قدمت تقريرها في ديسمبر سنة ١٩٣٠ م . وخلصت فيه إلى : أن
«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي [حائط البراق] . ولهم
وحدهم الحق العيني فيه ، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم
الشريف ، التي هي أملاك الوقف . وللمسلمين أيضاً ، تعود ملكية الرصيف
الكاثر أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة
للحائط ، لكونه موقوفاً ، حسب أحكام الشرع الإسلامي ، وجهات البر
والخير»^(١) .

رغم ذلك ، استمرت سلطات الاحتلال الانجليزي في التمكن
نلمخططات «الصهيونية» . الصليبية «على أرض القدس
وفلسطين .

• فكانت موجة جديدة من الاحتجاجات والإضرابات
والاضطرابات العنيفة التي جعلت الشعب الفلسطيني ينخرط في
أصول إضراب شهادته البلاد امتد ثلاث سنوات . . من سنة ١٩٣٦ م
حتى سنة ١٩٣٨ م . ولم يتوقف إلا بإجهاض الحكام العرب له .
عندما تعاونوا مع المحتل على تهدة الأوضاع في فلسطين . كي تفرغ

(١) [ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية] ج ١ ص ٢٥٩ - ٣٥٠ .

انجلترا للاستعداد لنذر الحرب العالمية الثانية التي كانت تلوح في الأفق ! .

● وخلال هذه الموجة من الإضرابات والاضطرابات ، تخلق على أرض فلسطين تنظيم جهادي سرى ، رأى ضرورة الانطلاق من مدرسة الإسلام في الفداء والاستشهاد ، لأن خريجى هذه المدرسة وجنودها هم الذين سبق لهم تاريخيا التصدى لكل الأحلام الصليبية والاستعمارية على أرض فلسطين . .

ففى مدرسة الجهاد هذه تعلم المسلمون ويتعلمون أن الإذن بالقتال . . والأمر بالقتال . . والتحريض على القتال وقف وخاص لرد عدوان الذين يخرجون المسلمين من ديارهم ، أو يظاهرون ويساعدون على إخراجهم من ديارهم ، أو يفتنونهم فى دينهم بالعدوان على مقدساتهم ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ (الحج ٣٩-٤٠) . ﴿ واقتلوهم حيث تقبضوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ﴾ (البقرة ١٩٠-١٩١) . ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (٥) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿ (الممتحنة ٨-٩) .

ولقد وجبت على أرض فلسطين وفي شعبها فريضة الجهاد القتالي لكل هذه الأسباب . . . فاليهود يخرجون المسلمين من ديارهم بالاستعمار الاستيطاني ، وهم يفتنون المسلمين في دينهم بالعدوان على مقدساتهم . . . والسلطات الاستعمارية الصليبية تظاهر وتساعد اليهود على إخراج المسلمين من ديارهم وفتنتهم في دينهم .

وزاد من مبررات فناعة هذا الفصيل الجهادي الفلسطيني بأن طريق الجهاد والفداء والاستشهاد قد تعين وتأكد ، حقيقة أن الصهاينة هم ﴿ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . . . وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١) .

ولقد عادت الذاكرة الإسلامية بهذا الفصيل الجهادي إلى صدر الإسلام . . . وإلى منهاج الإسلام في تربية المجاهدين ، يوم كان المسجد هو الميدان الذي يتربى فيه أبطال الفداء والاستشهاد . . . ويوم كان قيام الليل هو صانع المجاهدين الذين هم ﴿ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ والذين ينهضون . لذلك . . . مع قلة العدد والعدة . بالحمل الجهادي الثقيل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً (٥) إِنْ نَاشَأَ اللَّيْلُ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (المزمل ١ : ٦) .

عادت ذاكرة الفصيل الجهادي الفلسطيني إلى معالم هذه المدرسة

الجهادية الإسلامية الأولى، وإلى أسوتها الحسنة، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام المجاهدين، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، ورأوا كيف كان موقف القلة المؤمنة التي تخرجت من هذه المدرسة أمام أحزاب الشرك والضلال المتفوقة في العدد والعتاد. والتي تحالفت يومها أيضا مع اليهود! ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴿ (الأحزاب ٢١-٢٣).

إنه الطريق الوحيد المتقضى إلى إحدى الحسنين: النصر وقهر العدو وتحرير القدس وفلسطين، . أو الشهادة التي لا يعدلها مقام في المثل العليا للمؤمنين بالإسلام، . وكيف لا!، . والشهيد اسم من أسماء الله، سبحانه وتعالى، . والشهيد: هو الذي يقتل في سبيل الله، سمي بذلك لأن الملائكة تشهده وتحضره ساعة استشهاده، . ولأنه - أيضا - يشهد ما أعده الله له من النعيم المقيم عند أول قطرة دم تسيل من جسده!، . إن أعداءه أموات حتى ولو كانوا ﴿أحوص الناس على حياة﴾ - آية حياة!، . بينما الشهيد حي عند مولاه حتى ولو غادر هذه الحياة الدنيا إلى الدار التي هي خير وأبقى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (٢٣) فربحنا بما آتاهم الله

من فضله ويستشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧١) يستشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧٢) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم الفرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٣) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبي الله ونعم الوكيل (١٧٤) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴿ (ال عمران: ١٦٩-١٧٤) .

إنهم إن انتصروا، وحرروا القدس وفلسطين، فسيكونون على درب عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤ م] وأبو عبيدة بن الجراح [٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ٥٨٤ - ٦٣٩ م] - أمين الأمة... وصلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ١١٣٧ - ١١٩٣ م] بطل الإسلام... وإن كانت الشهادة فسبكون ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (٣٠) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴿ (النساء: ٦٩ - ٧٠) ﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴿ (الحديد: ١٩) .

إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو إمام المجاهدين، يقول «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد». رواد

الترمذي . . . ويقول : « ما من مسلم يُظلم بمظلمة فيقاتل فيُقتل إلا قُتل شهيدا » - رواء الإمام أحمد . . . فما بالنا إذا كانت المظلمة قد وقعت على الأرض التي بارك الله فيها وحولها - القدس وفلسطين - وعلى ما فيها من أهل ومال ودماء زكية . . . جاءت « الصليبية - الصهيونية » لتغتصب الأرض المقدسة . . . ولتخرج أهلها منها ولتفتنهم في دينهم . . . بتدنيس المقدسات واغتصابها . . . ولتسيل من المسلمين الدماء على الأرض التي حررها « الفاروق » و « أمين الأمة » و « صلاح الدين » ! . . .

إن الشهادة - في هذه المدرسة الجهادية - هي الطريق . . . وهي ليست فقط مرغوبة ومحبوبة . . . بل إن تكرارها مرغوب ومحبوب . . . ألم يقل رسولنا ، صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » - رواء البخاري ومسلم . . . وقال - أيضا : ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يخرج منها ، وإن له ما على الأرض من شيء ، ، غير الشهيد ، يحب أن يخرج فيُقتل لما يرى من الكرامة ومن فضل الشهادة » . رواء البخاري ومسلم . . .

في مدرسة الجهاد والاستشهاد والفداء هذه ، تخلق طلائع الجهاد والاستشهاد على أرض فلسطين ، إبان الإضرابات والاضطرابات التي عمت الأرض المقدسة سنة ١٩٣٥ م . . .

ولقد حاولت هذه المدرسة الجهادية - منذ ذلك التاريخ - أن

تستخلص القضية الفلسطينية للشعب والأمة . . وأن تنقذها من عبث
النظم والحكومات التي غدت أسيرة للعجز والتبعية . . وانتى تشكو
من الاستعمار إلى الاستعمار ! . . والى تستجدى تحرير الأرض من
لصوص الأرض ! ! . .

وكان ذلك اتوجه الجهادى ، إعلانا إسلاميا على أن الجهاد هو
الطريق الوحيد لاستخلاص الحق السليب فى القدس وفلسطين .

ولقد كانت اللحظة التى تخلق فيها هذا التفصيل الجهادى - على
أرض فلسطين - لحظة فارقة فى تاريخ هذا الصراع التاريخى حول هذه
الأرض المباركة ومقدساتها .

التنظيمات الجهادية

ولقد شاء الله، سبحانه وتعالى، أن يكون قائد الطليعة الجهادية، التي تبلورت على أرض فلسطين في ثلاثينيات القرن العشرين، مجسد الحقيقة: أن فلسطين - كل فلسطين - هي «وقف إسلامي لكل أمة الإسلام». وأن قضية القدس - التي هي أولى القبلتين وثالث الحرمين - هي قضية كل المسلمين - في فلسطين وغير فلسطين. فكان الشيخ محمد عز الدين القسام [١٣٠٠ - ١٣٥٤ هـ ١٨٨٢ - ١٩٣٥ م] من مواليد «جبل» باللاذقية - في سوريا... ومن خريجي الأزهر الشريف - بمصر... ومن الذين نزحوا إلى حيفا - بفلسطين - سنة ١٩٢٠. بعد أن ثار - مع جماعة من تلامذته، على الفرنسيين الذين احتلوا ساحل سوريا سنة ١٩١٨، فطارده... فذهب إلى دمشق. وبعد احتلالها غادرها إلى حيفا - بفلسطين. فهو ابن الإسلام، المنتمى إلى أمة الإسلام، والمجاهد في سبيل تحرير دار الإسلام... وهما قد ذهب إلى الأرض التي بارك الله فيها... فتولى الإمامة والخطابة بجامعة الاستقلال - بحيفا - الذي سيكون مدرسة «لناشئة الليل»... كما رأس جمعية الشبان المسلمين... وعمل

بالمحكمة الشرعية . . وانضم إلى فرع "حزب الاستقلال" بحيفا سنة ١٩٣٢ م . .

وبعد الأحداث التي تفجرت سنة ١٩٣٣ م بين الشعب الفلسطيني وبين سلطات الاحتلال الإنجليزي والصهيانية ، بدأ القسام - من أحيى القديم بحيفا ، حيث يسكن الفقراء الذين ذهبوا ضحايا الاستيطان الصهيوني - تكوين التنظيم الجهادي السري لمحاربة "الصليبية - الصهيونية" في فلسطين . . ومن هؤلاء الفقراء الذين عمل القسام على توعيتهم بثقافة الجهاد الإسلامي ، كما عمل على منحهم أميتهم ، وتحسين أحوال معيشتهم ، بدأ يتخلق أول تنظيم جهادي حديث على أرض فلسطين . . ولقد نظم القسام هذا التنظيم السري الجهادي إلى أربع لجان :

١ - لجنة الدعوة والدعاية .

٢ - ولجنة التدريب العسكري للمجاهدين المقاتلين .

٣ - ولجنة التموين والإمدادات .

٤ - ولجنة الاستخبارات وجمع المعلومات .

ولقد جند القسام نحو ٢٠٠ من المدربين على حمل السلاح ، الذين دربهم في الخلاء ، بعيدا عن أعين الصهيانية وسلطات الاحتلال . . كما نظم نحو ٨٠٠ من الأنصار الداعمين للجهاد . . غير أن توالي الاضطرابات ، وتسارع الأحداث وتفجر المصادمات بين الفلسطينيين وسلطات الاحتلال الإنجليزي - سنة ١٩٣٥ م ،

اضطر القسام إلى التعجيل بإعلان ثورته ، قبل تكوين القوة القادرة على الصمود الطويل . . فكان أن غادر حيفا في الثاني والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٣٥ م ، ومعه ٣٥ من أنصاره المسلحين ، قاصدين إلى ضواحي «جنين» على أمل الالتقاء بالفلاحين في تلك المنطقة ، ودعوتهم إلى حمل السلاح ومقاتلة الإنجليز والصهاينة . . لكن القوات الإنجليزية عاجلته قبل الالتحام بأنصاره وتعבתهم ، وأجبرته لإجهاض ثورته - على أن يخوض ، بمجموعته الصغيرة ، معركة غير متكافئة في غابة «يعبد» بمنطقة جنين في التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٩٣٥ م . . حيث نال الشهادة ، التي فتحت طريق الجهاد والفداء والاستشهاد لتحرير القدس وفلسطين . .

ولقد خرجت جماهير الشعب الفلسطيني لتشييع جثمان الشهيد عز الدين القسام ، كما لم تخرج في جنازة من الجنازات . . ودفن في قرية «الشيخ» بجوار حيفا . . ولقد تحولت جنازة القسام إلى مظاهرة رشقت قوات الاحتلال الإنجليزي بالحجارة ، وهتفت بسقوط الاستعمار والوطن القومي اليهودي - الذي قرره وعد «بلفور» سنة ١٩١٧ ، والذي يقوم الاستعمار الانجليزي بتحقيقه على أرض فلسطين - وتحول الشهيد القسام إلى رمز للتضحية والفداء والاستشهاد . . وغدت ثورته برهانا على عقم أساليب السياسيين المساومين الذين يشكون من الاستعمار إلى الاستعمار ، ويستجدون الأرض من لصوص الأرض . . حتى إن هؤلاء السياسيين المحترفين لم يجرؤوا على الظهور أمام الجماهير في جنازة الشهيد عز الدين القسام ! . .

وهكذا فتح الشهيد البطل من محمد عز الدين القسام - شيخ ثوار فلسطين - باب مدرسة الجهاد وطريق الاستشهاد أمام شعب فلسطين - في العصر الحديث - فغدا القدوة والأسوة والنموذج منذ ذلك التاريخ . .



ولأن المخاطر قد تزايدت ، والتحديات قد تصاعدت .

فاليهود الذين كان تعدادهم على أرض فلسطين - المتجنسون . . وليس الزائرين - في سنة ١٩١٤ م ، لا يتجاوز ٣٩٠٠٠ (تسعة وثلاثين ألف نسمة) . . وصل تعدادهم - بتشجيع الاستعمار الغربي - بقيادة الانجليز - في سنة ١٩٤٨ م إلى ٦٨٦٠٠٠ نسمة (ستمائة وستة وثمانين ألف نسمة) . . فزادت نسبتهم إلى مجموع سكان فلسطين من ٨٪ سنة ١٩١٨ م إلى ٣١٪ سنة ١٩٤٨ م . .

وبعد أن كانت ملكيتهم في أرض فلسطين نصف مليون دونم - أي ٢٪ من مساحة أرض فلسطين - زادها الاستعمار والاسنيطان ، فبلغت سنة ١٩٤٨ م ١,٨٠٠,٠٠٠ دونم - أي ٦,٧٪ من أرض فلسطين .

● وزاد الطين بلة . . وأضاف إلى الكارثة كمّ ارت عديده، قرار التقسيم ، الذي أصدرته الأمم المتحدة ، بضغط من أمريكا وقوى الاستعمار العالمي - في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م . . عندما أعطى اليهود - الذين يملكون ٦,٧٪ من الأرض - أعطاهم الحق في دولة

مساحتها ٥٤٪ من أرض فلسطين!! . بينما ترك للعرب . الذين يملكون ٣٠٣٪ من الأرض . فقط ٤٥٪ من هذه الأرض!! . وترك . هذا القرار ١٪ من الأرض هي مساحة القدس . التي أراد لها «التدويل»! . .

● وكانت النكبة الأخرى ، هي وضع القضية الفلسطينية بيد النظم والحكومات العربية . التي تقع هي وبلادها تحت الاحتلال . والتي تعيش أسيرة لثالث العجز والفساد والتبعية لمراكز الهيمنة الغربية . الصليبية . الصهيونية . الداعمة للمشروع الصهيوني على أرض فلسطين .

لقد نزعوا سلاح الشعب الفلسطيني ، وأدخلوا إلى فلسطين جيوشا عربية . سنة ١٩٤٨ م . بعضها يقوده الإنجليز بشكل سافر ومباشر . . وبعضها تقوده حكومات عميلة . . أو تابعة . . أو عاجزة . . فكانت النكبة التي خرج منها الكيان الصهيوني بمكاسب أكبر مما أعطاه قرار التقسيم! .

● فلما كانت نكبة هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ م ، عمت بلوى الاغتصاب «الصهيوني . الصليبي» كل أرض فلسطين ، وكثيرا من مساحات الدول العربية المحيطة بفلسطين . . وأصبح الشعب الفلسطيني موزعاً بين لاجئين يعيشون حياة القهر واليأس والإحباط في المخيمات خارج فلسطين . . وبين مقهورين يعيشون تحت يبر الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين .

لكن الله ستن لا تبدل . . وقوانين حاكمة في الكون والاجتماع . .
ومن هذه السنن والقوانين سنّة ﴿ وإن تولّوا يَسْتَبْدِلْ قُوّمَا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٨) . .

فكما كان للسياسات العنصرية نظم وحكومات ، أجهضت ثورة
الشعب الفلسطيني في ثلاثينيات القرن العشرين . . وفتحت الأبواب
لنكبة الأربعينيات . . ونكبة الستينيات . . فلقد كان لطريق الفداء
والجهاد والاستشهاد مدرسته ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلاً ﴾ (الأحراب : ٢٣) .

● فبعد ستة أشهر من استشهاد الشيخ محمد عز الدين القسام ،
ولد الرجل الذي أراد له الله سبحانه وتعالى ، أن يواصل طريق الجهاد
والفداء والاستشهاد لتحرير القدس وفلسطين ، والذي سيعيد القضية
الفلسطينية إلى قبضة الشعب الفلسطيني . . ولد الشيخ أحمد
إسماعيل حسن ياسين [١٣٥٥ - ١٤٢٥ هـ ١٩٣٦ - ٢٠٠٤ م] . . ولد
في قرية «الجورة» ، بالقرب من «عسقلان» ، في يونيو سنة ١٩٣٦ م .
[ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ هـ] . . ولد أحمد ياسين لأسرة كانت من
أغنى أسر «الجورة» . . ولد ورايات ثورة الشهيد عز الدين القسام
تبحث عمن يحملها ليواصل الطريق . .

ولقد شاء الله ، سبحانه وتعالى ، أن يكون هذا المولود أحمد ياسين
هو حامل هذه الرايات ، الذي سيواصل طريق الجهاد . . طريق عز

الدين القسام . . بل والذي سيحول اسم «القسام» إلى كتيبة من كتائب
الفداء والاستشهاد . . وإلى عنوان على الصواريخ والقذائف والقنابل
الاستشهادية «الحية» التي تصنعها ثقافة الفداء والاستشهاد ، والتي
يحملها المجاهدون في سبيل تحرير الأرض التي بارك الله فيها
وحولها . . أرض الإسراء والمعراج . . القدس وفلسطين . .

شاء الله ، سبحانه وتعالى ، بميلاد هذا الشيخ أحمد ياسين ، أن
يجسد على أرض فلسطين آية من آيات الإسلام ، وتجليا من تجليات
الإرادة الإلهية ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أَنْصَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ (القصص ٦١: ٥) .

ولد الرجل الذي تميز - من بين المجاهدين الفلسطينيين - بجعل
الإسلام والجهاد الإسلامي والفداء والاستشهاد هو المرجعية والمسبيل
إلى تحرير القدس وفلسطين .

لقد تربى الطفل أحمد ياسين يتيما . . فوالده . إسماعيل حسن
ياسين - توفي وعمره خمس سنوات ولقد أدخلته أمه مدرسة «الجورة»
الابتدائية ، فواصل تعليمه فيها حتى الصف الخامس . . وكان ترتيبه
دائما ضمن الخمسة الأوائل .

● وفي عام النكبة الفلسطينية الكبرى - سنة ١٩٤٨ م - كان عمر
الفتى أحمد ياسين اثني عشر عاما . . ولذلك فلقد شهد بعينه ، ووعى
بعقله ، وأيقن بقلبه كل أبعاد الدرس الذي أدركه سلفه الشيخ محمد

عز الدين القسام : أن ضياع فلسطين يكرسه ترك قضيتها بيد النظم
والحكومات العربية ، ومساومات هذه الحكومات مع «الصلبية»
الصهيونية «صناعة هذه المأساة» . وإن طريق الجهاد ، الذي يكون
الشعب الفلسطيني طبيعته ، هو الطريق الحقيقي والوحيد لتحرير
القدس وفلسطين . .

ولقد ميز الفنى أحمد ياسين - يومئذ - بين إخلاص الشعوب العربية
والإسلامية لقضية فلسطين ، وبين خيانات النظم والحكومات ، وذلك
عندما شاهد بطولات الجيش المصرى ، ثم رأى الأوامر العليا لهذا
الجيش بالانسحاب ! . . وعندما شاهد آثار الخيانات التى كشفت ظهر
هذا الجيش الوطنى لئيران الأعداء ! . .

وكان الدرس الأكبر الذى وعاه ، هو أن عزل شعب فلسطين عن
قضيته هو السبيل لتكريس الاغتصاب الصهيونى لها . . بينما أخذ هذا
الشعب قضيته بيديه ، ودعمه عربيا وإسلاميا ، هو طريق التحرير . .
أدرك أحمد ياسين هذا الدرس المحورى فى تاريخ كل حركات التحرر
الوطنى . . وقال عنه :

«لقد نزعنا الجيوش العربية التى جاءت تحارب إسرائيل ، السلاح من
أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوات أخرى غير قوة الجيوش ، فارتبط
مصيرنا بها ، ولما هزمت هزمنا ، وراحت العصابات الصهيونية تتركب
المجازر والمذابح لترويع الأمنين ، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت
مجريات الأحداث» .

● وبهذه النكبة الكبرى - سنة ١٩٤٨ م - تحول أحمد ياسين وأسرته - أمه وإخوته السبعة - مع الأغلبية الساحقة من سكان القرى الفلسطينية التي شهدت مجازر الصهاينة وثرويع عصاباتهم - تحولوا إلى مشردين ولاجئين . . فالعصابات الصهيونية قد أقامت - يومئذ - ٣٤ معجزة! وأزالت ٤٧٨ قرية فلسطينية من الوجود! . . بل وسعت - بالإعلام - إلى محوها من ذاكرة التاريخ! . .

ولقد اضطر أحمد ياسين وأسرته إلى التزوح إلى غزة، حيث أقاموا لهم هناك «خصا» من القش فسكنوا فيه! .

● ولقد عانى الفتى أحمد ياسين - إلى جانب مرارة التشرد واللاجوء - مرارة النقر والحرمات - بعد اليسر والغنى - فكان يذهب إلى معسكرات الجيش المصري، مع بعض أقرانه، لالتقاط فضلات طعام الجنود، والعودة بها إلى أهلهم ليعيشوا عليها! . .

كما اضطر إلى ترك دراسته لمدة عام دراسي [١٩٤٩ - ١٩٥٠ م] ليعمل في أحد مطاعم الفول بمدينة غزة، لقاء أحر زهيد يعول به أسرته! . .

لم تمكن من إكمال تعليمه في المرحلة الابتدائية سنة ١٩٥٢ م.

● وفي نفس العام - سنة ١٩٥٢ م - حدث له حادث كالزئزال، فبينما كان يمارس التمارين الرياضية - مع أقرانه - على شاطئ غزة أصيب بكسر في فقرات العنق - وسنه يومئذ ستة عشر عاما - وبعد خمسة وأربعين يوما من وضع رقبته في «جبرة الجبس» ،

اتضح أنه قد أصيب بعاهة مزمنة، هي الشلل الذي سيلازمه بقية الحياة!

لكنه - بالإرادة والصبر - حول نقطة الضعف هذه إلى نقطة انطلاق نحو القوة . . فواصل تعليمه الإعدادي، وأكمل سنة ١٩٥٥ م . . ثم انتقل إلى مدرسة فلسطين الثانوية . . وأنهى دراسته الثانوية سنة ١٩٥٨ م .

● وفي هذه المرحلة من حياته أخذ يواظب على الصلاة في المساجد، وحضور دروس العلماء - وخاصة مسجد أبو خضرة، الذي كان يحاضر فيه العلماء الذين تربوا في مدرسة الإخوان المسلمين، ومنهم الشيخ الأباصيري . . والشيخ محمد الغزالي [١٣٣٥ - ١٤١٦ هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦ م] . . وفي سنة ١٩٥٥ م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وأعطى البيعة، وأصبح عضوا عاما - في ظل المحنة التي كانت تتعرض لها بمصر وغزة، التي كانت تحت الإدارة المصرية . . ولقد رأى في الإخوان الجماعة «التي تدعو إلى فهم الإسلام فهما صحيحا، وإلى الشمول في تطبيقه في شتى مناحي الحياة» .

ولقد اعتقل - للمرة الأولى - في الخمسينيات . .

● وكان التعليم الجامعي - بالنسبة لأبناء غزة - يتم في الجامعات المصرية . . ويحتاج إلى «مال» و«صحة» . . ولم يكن لأحمد ياسين حظ منهما . . فقرر تثقيف نفسه بنفسه، وذلك بالقراءة الحرة، وخاصة لأهم الكتب الإسلامية .

● وعندما احتلت الدولة الصهيونية قطاع غزة سنة ١٩٥٦ م. ضمن العدوان الثلاثي على مصر. كانت الفرصة الأولى للنشاط السياسي لأحمد ياسين. . . فرغم ظروف الإعاقة الصحية، شارك في المظاهرات المعادية لهذا الاحتلال. وكان طالباً في المدرسة الثانوية. وظهرت يومئذ قدراته الخطابية والتنظيمية المتميزة. . . ونشط مع رفاقه، في مقاومة مشروع الإشراف الدولي على قطاع غزة، وفي المطالبة بعودة الإدارة المصرية للقطاع من جديد. . .

● وبعد الحصول على الثانوية، تقدم أحمد ياسين لشغل وظيفة مدرس، ونجح في الاختبار بتفوق، لكنهم كتبوا أمام اسمه كلمة «أعرج» وكاد أن يحرم من الوظيفة، لولا أن المدير العام كان له ولد «أعرج»، فاستغفر من حرمان هذا المتقدم للوظيفة بسبب هذه العاهة، فكتب بالخط الأحمر. أمام اسمه الموافقة على تعيينه مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، بمدرسة «الرمال» الابتدائية ويومئذ أصبح له راتب، قدره عشرة جنيهات مصرية، يوفر لأسرته عيش الكفاف. . .

● ولأن نحمه قد لمع بين شباب الدعوة الإسلامية في غزة، فلقد تم اعتقاله إبان الحملة المصرية على جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ م. التي حوكم وأعدم فيها الشهيد سيد قطب [١٣٢٤]. ١٣٨٦-١٩٠٦ م. [١٩٦٦ م]. وظل أحمد ياسين حبيس الزنازة الانفرادية بسجن غزة - قرابة الشهر. . . ولم يتمتع السلطات من ترحيله إلى السجن الحربي بمصر إلا «خشيتهم من أن يموت في الطريق!». . .

ثم أفرج عنه لعدم كفاية أدلة الارتباط التنظيمي بجماعة الإخوان المسلمين . .

لقد كان يعيش مأساة حرمان وطنه من الحرية . . وتعلم من محنة السجن معنى حرمان المواطن من نعمة الحرية . . فعبّر عن هذا الندرس بقوله : « إن فترة الاعتقال قد عمقت في نفسي كراهية الظلم . وأكدت أن شرعية أى سلطة إنما تقوم على العدل ، وإيمانها بحق الإنسان في الحياة بحرية » .

ولقد أخذت عليه إدارة السجن - عند الإفراج عنه - بكفالة . تعهدا ألا يخطب في المسجد . . ولكنه فور دخوله إلى المسجد ، يوم الجمعة ، للصلاة تدافع الناس إليه ، وحملوه ووضعوه على المنبر ، وطلبوا منه أن يخطب خطبة الجمعة ، فافتتحها بقوله الله . سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٠) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣١) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٣٢) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴿ (الحج : ٣٨ - ٤١) .

ولقد أبكى الناس بخطبته يومئذ ، حتى هاجت مشاعرهم ، فكادت تحدث ثورة ، لولا أن قام هو بتهدئتهم ! . . ويومئذ طلب مأمور

الإدارة القبض عليه ثانية ، لكن تعلق الناس به والتفافهم حوله ، جعل الجندي الذي طلب عنه المأمور اعتقاله يرفض تنفيذ الأمر لكي لا يتعرض لاحترار الناس وشتائمهم!! . .

● وعندما اجتاحت الدولة الصهيونية قطاع غزة ، واحتلته - ضمن عدوان سنة ١٩٦٧ م . أصبح جهاد الشيخ أحمد ياسين وإخوانه مباشراً ضد سلطات الاحتلال الصهيوني . . فمن على منبر المسجد العباسي - بغزة - كانت خطبه تلهب مشاعر الجماهير ، وتوقظ عقولهم ، وتملأ قلوبهم بقيم الرفض والغضب والمقاومة والاحتجاج . . ولأن المواجهة قد غدت مباشرة ، فلقد سلك طريقه إلى الإعداد والتنظيم ، فقاد عمليات جمع التبرعات لمعاونة أسر الشهداء والمعتقلين ، وبدأ في إقامة « البنية التحتية » لمشروع الجهاد والفداء والاستشهاد ، ليضمن الصمود والاستمرار لهذا الجهاد ، ومن موقع الرئاسة « للمجمع الإسلامي » بغزة ، أصبح الشيخ أحمد ياسين رأس هذا التوجه الجهادي على أرض فلسطين . .

● وفي سنة ١٩٦٨ م تولى الشيخ أحمد ياسين قيادة تنظيم الإخوان المسلمين في غزة . . فبدأت مرحلة جديدة في حياة الجماعة ، بمد النشاط خارج قطاع غزة - استفادة من توحيد الإدارة في كل فلسطين . التي أصبحت جميعاً محتلة - بل وامتداد التنظيم إلى التجمعات الفلسطينية التي تدرس أو تعيش في مصر . . وزرع التوجه الإسلامي الملتزم بين العرب الذين يعيشون داخل الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨ م . حتى لقد تحول الشيخ أحمد ياسين بعيد الله

نمرود ريش من سكرتير للحزب الشيوعي في «كفر قاسم» إلى داعية من دعاة الحركة الإسلامية بين عرب الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨ م ! .

● وفي أوائل السبعينيات . من القرن العشرين . أقالت سلطات الاحتلال الصهيوني . في قطاع غزة . الشيخ أحمد ياسين من وظيفة التدريس ، بدعوى «عدم اللياقة الصحية» . . فكانت هذه الإقالة خيرا وبركة على العمل الإسلامي ، إذ منحت الشيخ تفرغا لهذا العمل منذ ذلك التاريخ .

● وفي سنة ١٣٩٤ هـ . ١٩٧٥ م قام الشيخ أحمد ياسين برحلته الحجازية ، فأدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، وزار المدينة المنورة ، وقبر إمام المجاهدين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . . ثم عاد ليواصل جهاده على الأرض المقدسة ، لتحرير القدس وفلسطين . .

● وفي ١٥ - ٢ - ١٩٨٤ م أمرت سلطات الاحتلال الصهيوني باعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد من إخوانه . لتوقف نشاطه ضد الاحتلال . . ووجهت إليه . يومئذ . . كمتهم أول . عدة تهمة . . منها :

١ - العضوية في منظمة غير مشروعة تهدف إلى إبادة دولة إسرائيل وإقامة دولة إسلامية محلها ، ذلك أنه قام بتأسيس حركة المجاهدين بمبادرة شخصية منه وبدعم من إخوانه الذين أصبحوا أعضاء في هذا التنظيم .

٢ - التحريض ضد قيام دولة إسرائيل ، ذلك أن هذا التنظيم كان يهدف إلى إزالة دولة إسرائيل عن الوجود ، وإقامة دولة إسلامية محلها .

٣ - حيازة السلاح ، ذلك أنه ورفاقه حازوا عددا كبيرا من الأسلحة .

٤ - التآمر لارتكاب جريمة ، ذلك أنه ورفاقه خططوا لاستعمال هذا السلاح ضد إسرائيل

وفي هذه المحاكمة ، قال رئيس المحكمة العسكرية الصهيونية الضابط "زخريا كاسفي" : "إن المحكمة ترى في التهم أحمد ياسين أنه خميني فلسطيني ، وقد ينجح في مأربه إن لم يتم التصدي له من خلال قوات الأمن ومن خلال قرار هذه المحكمة" .

أما الشيخ أحمد ياسين ، فلقد دافع - يومئذ - لا عن نفسه وإخوانه . . . وإنما عن فلسطين ، فقال : "أنتم تحاكمونني وإخواني وشعبنا . ونحن الضحية لكم ، بعد أن سلبتم أرضنا ، وقتلتم رجالنا ، وأقمتم كيأنكم على أرض فلسطين بالقوة .

وربما نستغربون وتقولون : أين قونكم . وأنتم الضعفاء ؟ . . فأقول لكم : إن كنا ضعفاء اليوم ، فنحن أقوياء بإيماننا بالله عز وجل ولأننا أصحاب حق لا يتقادم مع مرور الزمان" .

ولقد أصدرت المحكمة العسكرية الصهيونية ضد الشيخ أحمد ياسين حكما بالسجن ثلاثة عشر عاما . . فتنقل في سجون إسرائيلية عدة ، منها سجون المجدل وغزة ويئر سيع وغيرها .

ولقد جاء في حيثيات حكم هذه المحكمة : «إننا أمام مجموعة من الشبان الجديين، ذوي الأساس المتين، ذوي ثقافة وتجربة حيانية، وقد وضعوا نصب أعينهم فرض سلطة الدين الإسلامي في منطقتنا، وذلك بأمر زعيمهم - [أحمد ياسين] - من خلال إحراز أهداف سياسية ضمنها تصفية دولة إسرائيل بقوة السلاح وإقامة دولة إسلامية مكانها».

وهي حيثيات تشهد للإسلام، ولعجرات الإسلام في الجهاد والفداء والاستشهاد . . . ولصنيع ثقافة الجهاد في الإنسان . . .

● وخلال مراحل هذه المحاكمة، لم يكتف الصهاينة بالعاهات التي يعاني منها جسد الشيخ أحمد ياسين . . . وإنما زادوا - بالتعذيب - هذه العاهات سوءا . . . فأصيبت عينه اليمنى بفقدان البصر - بسبب ضربة من جلادى المخابرات الصهيونية - ثم أصيبت عينه اليسرى بضعف في الإبصار . . . ثم توالى مشكلاته الصحية، فأصيب بالتهاب مزمن بالأذن . . . وحساسية في الرئتين . . . وبأمراض والتهابات معوية . . . ليجعل الله، سبحانه وتعالى، منه آية من آيات الجهاد الإسلامى، فمع أنه لا يملك من الطاقات الجسمانية إلا العقل اليقظ، واللسان المحرك للقلوب . . . وقدر من الأعصاب تجعل يده تمسك القلم بصعوبة . . . إلا أن طاقاته الإيمانية قد غدت إعصارا يحرك الأمة، وينظم المجاهدين، ويقض مضاجع القوة الصهيونية العاتية ومن يظاهرونها من القوى العظمى التي تملك قوة غرغور ووفرة فارون! . . .

لقد أصبح . في ضعفه الجسماني . آية من آيات قوة الإسلام ،
ومعجزة من معجزات ثقافة الجهاد الإسلامي . .

● وبعد أقل من عامين ، اضطرت سلطات الاحتلال الصهيوني
إلى الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين في سنة ١٩٨٥ م . ضمن صفقة
لتبادل الأسرى والسجناء مع « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » . القيادة
العامة . . فعاد ثانية لقيادة العمل الجهادي على أرض فلسطين .

● وعقب الإفراج عنه ، كون تنظيمًا جهاديًا آمنيا . « منظمة الجهاد
والدعوة » [مجد] لمحاربة عوامل الفساد والإفساد التي كانت تشرها .
عمدا . سلطات الاحتلال ، لتدمير قدرات وطاقت شباب الشعب
الفلسطيني . .

● وفي ٩ - ١٢ - ١٩٨٧ م اتفق الشيخ أحمد ياسين مع رفاقه على
إقامة تنظيم جهادي ، يضم المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين في
فلسطين ، أطلقوا عليه اسم « حركة المقاومة الإسلامية » [حماس] ،
باعتباره « الذراع الضاربة لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين
المحتلة » . وهو التنظيم الذي فجر وقاد . في ليلة إعلان تكويته .
« انتفاضة المساجد والحجارة » . التي استمرت حتى أجهضتها متاهات
التسوية ، التي انحرفت إليها منظمة التحرير الفلسطينية ، والنظم
والحكومات العربية . بعد مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١ م . . وهي المأهة
التي تكرست في اتفاقية أوسلو سنة ١٩٩٣ م . .

● وإبان هذه الانتفاضة . انتفاضة المساجد والحجارة . قامت

سلطات الاحتلال الصهيوني - في أغسطس سنة ١٩٨٨ م - تهداهمة منزل الشيخ أحمد ياسين وفتيشه . . . وهددته - يومئذ - بالنفي - على مقعده المتحرك إلى جنوب لبنان . . . ثم قامت - في ١٥ يونيو سنة ١٩٨٩ م - باعتقاله مع مئات من أعضاء حركة حماس ، في محاولة لوقف المقاومة المسلحة للاحتلال الصهيوني وعملائه . . . ووجهت إليه كمتهم أول - عشر تهمة . . . وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٩٩١ م أصدرت إحدى المحاكم العسكرية الصهيونية حكماً بسجن هذا الشيخ القعيد مدى الحياة . . . مع إضافة الحكم بسجنه خمسة عشر عاماً على حياته !! .

● وفي ١٣ ديسمبر سنة ١٩٩٢ م قامت مجموعة فدائية من كتائب الشهيد عز الدين القسام - الجناح العسكري لحماس - باختطاف جندي صهيوني ، وعرضت مبادلته بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من المعتقلين الفلسطينيين المرضى والمسنين ، لكن سلطات الاحتلال رفضت العرض ، وأغارت على مكان احتجاز الجندي الصهيوني ، الأمر الذي انتهى بمقتله واستشهاد المجموعة الفدائية ، بمنزل في قرية "بيرنبالا" ، بالقرب من القدس . . .

● وعندما فشلت محاولة الموساد الصهيوني في اغتيال الدكتور خالد مشعل - رئيس المكتب السياسي لحماس - بالعاصمة الأردنية عمان - وقبض على عناصر الموساد متلبسين بجريمتهم ، اضطرت الدولة الصهيونية إلى مبادلتهم بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين في

أول أكتوبر سنة ١٩٩٧ م . فعاد لقيادة المقاومة في فلسطين من جديد . .

● وفي مايو سنة ١٩٩٨ م قام الشيخ أحمد ياسين برحلة خارجية ، زار خلالها عددا من البلاد العربية والإسلامية داعيا إلى نصرة الجهاد على أرض فلسطين ، ودعمه ماديا ومعنويا ، ولقد نجح - في هذه الرحلة - في أن يجمع نحواً من خمسين مليوناً من الدولارات للمؤسسات الداعمة لصمود الشعب الفلسطيني . .

ولقد حاولت إسرائيل استخدام النفوذ الأمريكي في منعه من العودة إلى غزة ، ولكن ضغط الرأي العام الإسلامي والعالمي أجبرهم على السماح بعودته . .

● وعندما تفجرت انتفاضة الأقصى - في ٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٠ م - فور الاستفزاز الصهيوني الذي تمثل في اقتحام «شارون» - والجنود الصهاينة - للمحرم القدسي الشريف ، برزت حركة حماس ، وذراعها العسكري - كتائب الشهيد عز الدين القسام - في المقاومة المسلحة للكيان الصهيوني . . وفي العمليات الاستشهادية - التي شاركت فيها النساء - الأمر الذي أفقد الصهاينة الأمان ، فتزايدت الهجرة من الكيان الصهيوني ، حتى فاقت الهجرة إليه ، لأول مرة في تاريخه . . بل وكادت أن تتوقف الهجرة إليه . . وتوقفت فيه السياحة . . واقترب النمو الاقتصادي فيه من الصفر . . وأصبح عالية على الدعم الأميركي الخارجي . . وساءت سمعته في الغرب لأول مرة في تاريخه ، حتى أن

استفتاء المفوضية الأوروبية سنة ٢٠٠٤ م، قد انتهى إلى أن إسرائيل هي الخطر الأول على السلام العالمي . . وتأتي بعدها في الترتيب أمريكا! . . ولاحق، لأول مرة في تاريخ هذا الكيان العنصري، مخايل نهايته المحتومة، والطريق المسدود الذي دخل فيه! . .

كل ذلك، بفضل انتفاضة الأقصى، التي اتخذ قرارها الشيخ أحمد ياسين، وقادتها حماس والمنظمات الجهادية الأخرى - الإسلامية . . والوطنية - على أرض فلسطين . .

وفي هذه الانتفاضة أعادت "حماس" اسم الشهيد عز الدين القسام، ليصبح صواريخ وقذائف وبطولات استشهادية، ضربت فيها النماذج الفلسطينية - رجالاً ونساء - أمثلة لا نظير لها في تاريخ حركات التحرر الوطني . . فتجسدت على أرض فلسطين معجزات الإسلام والجهاد الإسلامي من جديد وبقيادة الشيخ القعيد أحمد ياسين .

ولقد كان الشيخ أحمد ياسين - لهذا الذي يمثل في المقاومة الفلسطينية - أبغض الناس عند الصهاينة المغتصبين لأرض فلسطين، حتى لقد أصبحت غزة - التي حولتها إلى كتلة جهادية ونار محرقة للعدو الصهيوني - مكاناً يتمنى الصهاينة غرقه في البحر، وزواله من الوجود . . كما يتمنون الخلاص من مستنقع احتلالهم له، لولا مخافة أن يشجع ذلك بقية أجزاء الأرض المحتلة على تصعيد وتيرة المقاومة، فيبدأ العد التنازلي للكيان الصهيوني، وتعود كل فلسطين

لأهلها، من البحر إلى النهر - كما يردد - يا صرار - الشيخ أحمد ياسين . .

ولأن هذا هو خطر الجهاد - الذي يمثله الشيخ أحمد ياسين - فلقد كان الرجل في مقدمة الرموز الجهادية التي تستهدفها اغتيالات الدولة الصهيونية . . وفي هذا الإطار تعرض للعديد من محاولات الاغتيال الفاشلة، ومن أشهرها المحاولة التي حدثت في ٦ سبتمبر سنة ٢٠٠٣م عندما قصفت المروحيات الإسرائيلية شقة سكنية - في مدينة غزة - كان يجتمع فيها الشيخ مع بعض إخوانه من قادة حماس . . وأصيب يومها بجروح طفيفة في ذراعه اليمنى . .

● وكان الكثيرون - من أهله وأعوانه - ينصحونه بالمزيد من الحذر والاحتياط - أخذاً بالأسباب . . ومع أنه لم يكن بالذي يهمل الأخذ بالأسباب، إلا أن إيمانه بأن ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤) - فالإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من عقائد الإيمان الإسلامي . . وكما يقول الإمام علي بن أبي طالب [٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ ٦٠٠ - ٦٦١ م] كرم الله وجهه: «نعم الجنة - [الوقاية والحماية] - الأجل»! . .

لأن الشيخ أحمد ياسين يؤمن بجميع ذلك . . وفوق هذا، لأنه كان مشوقاً إلى أن يلقى الله شهيداً، ويردد كثيراً: «نحن طلاب شهادة»، حتى لتقول ابنته «رحمة»: «كم تمنى الشهادة بقلب خالص،

وبكاء في جوف الليل!.. وعندما كنا نطلب منه الاختفاء، حرصاً على حياته، كان يرد علينا بقوله: «الرب واحد والعمر واحد»!

لكل ذلك، لم يسمح الشيخ أحمد ياسين للمخاطر المحدقة بحياته من الصهاينة الذين يقاتلون من وراء جدر، ومن داخل المصفحات، ومن الطائرات التي لا يدركها بصره الكليل ولا أسلحته البسيطة. لأنهم ﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦). أية حياة!.. لكل ذلك، لم يسمح الشيخ أحمد ياسين لهذه المخاطر المحدقة بحياته أن تؤثر على حرّيته في الحركة، ولا على برامجهِ ومسئوليّاته الجهادية..

● وفي ليلة الاثنين آخر المحرم سنة ١٤٢٥ هـ ٢٢ مارس سنة ٢٠٠٤م، قضى الشيخ أحمد ياسين ليله قائماً بين يدي مولاه، وبعد أن تناول سحوره، ونوى الصيام لله، خرج - على كرسية المتحرك - إلى مسجد «المجمع الإسلامي»، بالقرب من منزله - في غزة - فصلى الفجر، وخرج من المسجد، راجعاً إلى منزله. وفي هذه اللحظات، استخدمت آلة الحرب الصهيونية في رصده آلة حرّية لم يسبق استخدامها - طائرة استطلاع، بدون طيار - لا تكاد ترى، لصغر حجمها - وقامت باغتياله بثلاثة صواريخ قذفتها الطائرات الصهيونية - المصنوعة في أمريكا - وتحت الإشراف المباشر لرئيس وزراء الكيان الصهيوني «أرييل شارون» - فصعدت روح الشيخ الشهيد - شيخ شهداء فلسطين - إلى بارئها - صائمة ومتوضئة - لتلحق بروح عز الدين القسام [١٣٠٠ - ١٣٥٤ هـ ١٨٨٢ - ١٩٣٥م]

ومواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . . عليه رحمة الله . .

● وإذا كان الشيخ أحمد ياسين قد ترك من الذرية ثلاثة أبناء ، وثمانى بنات ، وأربعين حفيدا وحفيدة . ٢٣ ذكرا و ١٧ أنثى . - وهذا الإحصاء يعود إلى ما قبل خمسة عشر عاما من استشهاده . فلقد خلف . للأقصى والقدس وفلسطين وللأمة الإسلامية . نموذجاً حياً للجهاد والفداء والاستشهاد ، بكل ميادين الجهاد والفداء والاستشهاد . وخلف حركة إسلامية حولت الشعب الفلسطيني . برجاله ونسائه . إلى كتيبة بأسلة من كتائب الجهاد . . كتيبة مرابطة على خير ثغور الإسلام . . مرابطة على رباط القدس الشريف والأرض المقدسة التى بارك الله فيها وحولها . . لقد حقق أحمد ياسين نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى قال فيها :

« لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، إلا ما أصابهم من لأواء . - [شدة ومحنة] حتى يأتهم أمر الله وهم كذلك » .

فلما قال الصحابة : يا رسول الله ، وأين هم ؟

قال ، صلى الله عليه وسلم : « بيت المقدس وأكناف بيت المقدس » .
رواه البخارى ومسلم . . .

تلك هى الكتيبة المجاهدة ، التى رباها شيخ الشهداء أحمد ياسين . . رباها فى المسجد . الذى مثل فى صدر الإسلام مدرسة

النبوة، التي تخرج فيها الذين غيروا وجه الدنيا ومعنى الحضارة واتجاه التاريخ... رباها أحمد ياسين على قيام الليل، الذي يجعل أهله [أشد وطنا وأقوم قبلا] لأن الله قد أراد لهم أن يحملوا ميراث النبوة الخاتمة والخالدة ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (٥) إن ناشئة الليل هي أشد وطنا وأقوم قبلا﴾ (المزمل: ٥، ٦).

لقد عرفت نظم التجبر والطغيان من هم [أشد وطنا]... نكس كتاب الجهاد الإسلامي وحدها هي التي تجمع الحسين [أشد وطنا وأقوم قبلا]... ذلك أن العدل - الذي هو اسم من أسماء الله، سبحانه وتعالى... وفريضة إلهية عامة - قد مثل الروح السارية في كل ميادين ومناحي الحضارة الإسلامية... فتحن - حتى عندما نقاتل الظلمة والطغاة والمغتصبين لذيوار الإسلام والمعتدين على مقدساته، إنما نشد العدل... العدل الذي يعيد الحقوق لأصحابها الشرعيين... والعدل الذي يضرب على يد الظالم فيرده عن الظلم الذي يجنى به على نفسه، كما يجنى به على المظلومين!...

● لقد كان أحمد ياسين أية من آيات الله، التي يفجرها الإسلام، ليراها الناس في الأنفس والأفلاق، وذلك نيزداد الذين آمنوا بإيمانا... وليعلم الجبناء أن الفداء والبطولات ليست وقفاً على أصحاب الأجسام، وإنما هي وقف على أصحاب القلوب!...

وإذا كان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك [١١٨، ١٨١ هـ ٧٣٦ -

٧٩٧ م] الذي أبكى - بجهاده - الفضيل بن عياض [١٠٥ - ١٨٧ هـ
٧٢٣ - ٨٠٣ م] - وهو شيخ الحرم المكي ، ومن أكابر العباد
الصلحاء - إذا كان عبد الله بن المبارك قد قدم وفضل المجاهدين في
ميادين القتال والمرابطين على تغور الإسلام علي العاكفين في
المحارب ، فقال :

يا عايد الحرمين لو أبصرتنا

لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه

قنحورنا بدمائنا تتخضب

فإن أحمد ياسين كان "المجاهد" و"العايد" . كانت عبادته جهادا
ومدرسة لتربية المجاهدين . . وكان جهاده عبادة ، لأنه جهاد في سبيل
تحرير الأقصى والقدس وفلسطين ، التي تمثل آية من آيات الإسلام ،
ربط القرآن بينها وبين أول بيت عبد الله فيه على ظهر هذا الكوكب
الذي عليه نعيش . .

وإذا كان جهاد أحمد ياسين قد فجر الطاقات الجهادية على أرض
فلسطين . . فلقد فجر ملكات الشعر عند الكثيرين من تلاميذه وجنوده
ومريديه . . ومنهم الأستاذ خالد أبو العمرين . الذي قال - في ٢٤ - ٦
- ١٩٨٩ م . . إبان الانتفاضة الأولى - :

يا أحمد ياسين أنت إمامنا

ويشهدنا إيمانك الجبار

يا أحمد ياسين قد علمتنا
 أن السجون سياحة وفخار
 علمتنا أن الرجال مواقف
 وصلابة وتوثب وقرار
 ناديت فاندفع الشباب كأنهم
 من خيل «بدر» عزة ونضار
 وأزحت عن وطني كآبة ظالم
 فتكشفت للعالم الأسرار
 بوركت يارمز الجهاد وبوركت
 أرض الرباط الشعب والأحجار
 ياميت الجسم الصغير أقمنا
 نحى هزال جثومنا الأحجار
 سبحان ربى إن هذى آية
 وبها يزول الخوف والأعداء
 طأ فوق هام الكفر، فجرتورة
 فبالله يضرب، والسكوت العار

● أما آخر ما كتبه الشيخ الشهيد أحمد ياسين فرسالة بعث بها إلى الملوك والرؤساء العرب، وكان مقرراً اجتماعهم في «مؤتمر القمة» بعد أيام من استشهاده. ولقد جعل من هذه الرسالة «برنامجاً للأمة إزاء قضية الأقصى والقدس وفلسطين». وفيها قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما من شك أنه إذا عز العرب عز الإسلام، وإن دلت هذه المقولة على شيء، فإنما تدل على عظم الأمانة التي تحملون، وأنتم - وفقكم الله لخير الأمة - من استرعاه الله حاضراً الأمة ومستقبليها، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم. يقول «إن الله سائل كل راع عما استرعى، حفظ أم ضيع» فالله الله في أمة الإسلام، وقد رماها أعداء الله عن قوس واحدة.

وإن أمامكم اليوم تحديات جساماً، وشعوبكم تنتظر ما ستمخض عنه القمة من قرارات، وكلها أمل أن تكون قرارات القمة على مستوى ما نواجه من تحديات، ولا يخفى أن على رأس تلك التحديات قضية العرب والمسلمين المركزية، قضية فلسطين. وكلى أمل أن تثمر هذه القمة ما يشكل رافعة لشعب فلسطين، وقد أبوا إلا أن يواصلوا مسيرتهم الجهادية حتى يحقق الله النصر الذي نحب، والذي يرفع الله به شأن

أُمتنا بإذنه تعالى. وإنني أناشدكم أن تأخذ القمة بعين الاعتبار القضايا التالية التي تخدم القضية الفلسطينية:

أولاً: أرض فلسطين أرض عربية - إسلامية اغتصبت بقوة السلاح من قبل اليهود الصهاينة، ولن نعود إلا بقوة السلاح، وهي أرض وقف إسلامي لا يجوز التنازل عن شبر منها حتى إن كنا لا نملك الآن القوة اللازمة لتحريرها.

ثانياً: الجهاد في فلسطين حق مشروع للشعب الفلسطيني، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة وإن وصفه بالإرهاب من قبل أعداء الله لظلم عظيم يرفضه شعبنا في فلسطين، وترفضه كذلك شعوبنا العربية والإسلامية، ونتمنى على القمة أن توضح موقفها بوضوح لا لبس فيه نصرة لشعبنا المجاهد.

ثالثاً: إن شعبنا، وهو بخوض بيسالة معركة قد فرضت عليه، لهو جدير أن يلتقى كل أشكال الدعم والتأييد من قادة الأمة، فهو بحاجة إلى الدعم الاقتصادي لتعزيز صموده، وقد دمر الصهاينة الأضرار كل أسباب الحياة والعيش الكريم لهذا الشعب المربط ونهبوا خيراته، وهو بحاجة أيضاً إلى الدعم العسكري والأمني والإعلامي والمعنوي والدبلوماسي، وغير ذلك من أشكال الدعم التي تعينه على مواصلة جهاده، وهو يتطلع أن يحقق له القمة كل ذلك بإذن الله تعالى.

رابعاً: إننا نناشدكم أن توقفوا كل أشكال التطبيع مع هذا العدو، وأن تغلقوا سفاراته وقنصلياته ومكاتبه التجارية وأن تفعّلوا المقاطعة العربية، وأن توقفوا الاتصال به والتعاون معه.

خامسا: إن الأمة فملك من الإمكانيات والطاقات والقدرات ما يجعلها قادرة على نصره قضاياها القومية ووضع حد لجرأة أعدائها عليها، وإني لأرى أنه قد آن لأمتنا أن تعمل بقول الله عز وجل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣). لنصبح قوة في زمن التكتلات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفِسادٌ كبيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣).

سادسا: إن المسجد الأقصى يناشدكم وقد أعد الصهاينة العدة لذلك أركانه وهدم بنيانه، فمن له بعد الله إن لم تكونوا أنتم؟.

سابعا: إننا نناشدكم أن تقدموا كل أشكال الدعم للعراق الشقيق وشعبه حتى يتحرر من الاحتلال الأمريكي، لأن نصره العراق وشعبه هي نصره لقضية فلسطين والشعب الفلسطيني.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو:

هذا ما أردت أن أنصح به، وقد علمنا رسول الله. صلى الله عليه وسلم، أن الدين النصيحة، وأسأل الله أن يجمع كلمتكم لنصرة دينه، وأن يوحد صفكم على ما فيه خير الأمة ورفعته.

أخوكم: أحمد ياسين

مؤسس حركة المقاومة حماس - غزة - فلسطين :



هذا هو آخر ما كتب شيخ الشهداء.. الشيخ أحمد ياسين.. وكأنما كان يكتب وصيته، التي هي وصية الأمة لكل أبنائها، الحكام منهم والمحكومين على حد سواء.. رحمه الله، وألحقنا به في النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا^(١).

وهذه هي معالم فقه الصراع على القدس وفلسطين.. عبر التاريخ الطويل لهذا الصراع..

-
- (١) انظر في سيرة وجهاد الشيخ أحمد ياسين:
- عاطف عدوان [الشيخ أحمد ياسين.. حياته وجهاده] طبعة غرة سنة ١٩٩١ م.
 - صحيفة [أخياء]- لندن - في ٢٣-٣-٢٠٠٤ م.
 - صحيفة [الشرق الأوسط]- لندن - في ٢٥-٣-٢٠٠٤ م. مقال المسحامي باظم عويضة بعنوان «هكذا تعرفت على الشيخ ياسين».
 - صحيفة [افاق عربية]- القاهرة - في ٢٥-٣-٢٠٠٤ م.
 - موقع «إسلام أون لاين» على شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» : شيخ الشهداء يعيون أسرته في ٢٥-٣-٢٠٠٤ م.
 - موقع «الجزيرة. نت» على شبكة المعلومات الدولية - ٢٣-٩-٢٠٠٢ م.
 - موقع «إسلام أون لاين» مقال الشيخ أحمد ياسين صاحب القلب الواسع «٢٣-٣-٢٠٠٤».

المصادر والمراجع

- د. أسد رستم
جريس هالسل
صبر مرقس
سهام نصار
شبكة المعلومات العالمية
الإنترنت
عاطف عدوان
د. عبد الوهاب الكزالي
د. عبد الوهاب المسيري
العهد القديم والعهد
الجديد
د. عواطف عبد الرحمن
غريغوريوس - الأنبا -
[الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا]
طبعة الجامعة الأمريكية - بيروت - بدون تاريخ .
[النبوة والسياسة] ترجمة: محمد السماك . طبعة ليبيا
سنة ١٩٨٩ م .
[يد الله] ترجمة: محمد السماك . طبعة القاهرة سنة
٢٠٠٠ م .
[رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية
الأمريكية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م .
[الحماية والعقاب: الغرب والمسألة الدينية في الشرق
الأوسط] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .
[اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية] طبعة بيروت
سنة ١٩٨٠ م .
مواقع: «إسلام أون لاين» و«الجزيرة نت»
[الشيخ أحمد ياسين: حياته وجهاده] طبعة غزة سنة
١٩٩١ م .
محرر: «موسوعة الديانة» طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م
[موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية] طبعة القاهرة
سنة ١٩٩٩ م .
طبعة دار الكتاب المقدس - القاهرة
[الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٥٤ م: دراسة
تحليلية] طبعة القاهرة ١٩٨٠ م
[وثائق لتاريخ: الكتيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق
الأوسط] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

محقق. [مجموعة الوثائق السياسية للعهده النبوى
والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

مجلة [المنار].

[الدين فى القرار الأمريكى] طبعة بيروت سنة
٢٠٠٣ م.

[إسرائيل... هل هى سامية؟] طبعة القاهرة سنة
١٩٦٧ م.

[كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك] تحقيق: د. محمد
مصطفى زيادة. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

[تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة حرب
الضليب] ترجمة مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة
١٨٦٤ م.

[ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية]. طبعة القاهرة
بدون تاريخ.

[البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى-
الصهيونى] دراسة فى الحركة المسيحية الأصواتية
الأمريكية. طبعة بيروت سنة ١٩٩٠ م.

د. محمد حميد اللب

الحيدر أبادى

محمد رشيد رضا. الشيخ

محمد الماك

د. محمد عمارة

المقريزى.

مكسيموس مونروند

هيئة الاستعلامات المصرية

د. يوسف الحن

دوريات

آفاق عربية - القاهرة .

الأهرام - القاهرة .

الحياة - لندن .

الشرق الأوسط - لندن .

الطلیعة - القاهرة .

العربي - الكويت .

نيوزويك - أمريكا .

نيويورك تايمز - أمريكا .

الفهرس

٥	تقديم
٩	١ - الدين فى خدمة الدنيا!
١٧	٢ - الصليبية الكاثوليكية
٢٧	٣ - الصليبية البروتستانتية
٣٥	٤ - الاستعمار يجسد الأساطير
٤٩	٥ - الصليبية البروتستانتية الأمريكية
٨١	٦ - على الساحة الإسلامية
١١٧	٧ - المشهد الفلسطينى
١٢٧	٨ - التنظيمات الجهادية
١٥٧	المصادر والمراجع
١٥٩	دوريات
١٦١	المؤلف : سيرة ذاتية .. وثبت بأعماله الفكرية

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٢٠٢١٥

الترقيم الدولي 5 - 1161 - 09 - 977 I.S.B.N.

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع ميسورية الميسرى - ت : ٤٠٢٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢ - ٠)
بيروت: حي حية : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣٦٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (١ - ٠)

في فقه الصراع على القدس وفلسطين

على مر تاريخ الصراع بين الغرب الاستعماري وبين الشرق الإسلامي، كانت القدس رمز الصراع.. وبوابة الانتصار.. وفي كل مراحل هذا الصراع، تشابكت العلاقات بين «المصالح» وبين «العقائد» والأيدولوجيات.. وإذا كان القرآن الكريم قد جعل الرباط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام آية من آيات الله.. فكان تحرير القدس وفلسطين ديناً وجهاداً يحقق المصالح لكل أصحاب الديانات والمقدسات.. فلقد كانت أساطير الصليبية والصهيونية العقيدة القتالية للغزو.. ولإعادة اختطاف الشرق من التحرير الذي أنجزه الإسلام.. ولكشف جذور هذا الصراع.. وحتى لا نفرط في سلاح الجهاد وطاقاته.. بينما يتسلح الأعداء حتى بالأساطير.. يصدر هذا الكتاب، الذي يقدم الفقه والوعي بأبعاد هذا الصراع.

